الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد الصديق بن يحيى– جيجل–

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

مذكرة بعنـــوان :

الأفعال الكلامية في الاربعين النووية
ـ دراسة وظيفية ـ

تخصص : علوم اللسان

من إعداد الطالبين:
- محمد بوطرنيخ
- نبيـل غـــراز

إشراف الأستـــاذ:
- عبـاس حشانـي

لجنة المناقشة

1–الدكتورة: هشام بن السنوسني	رئيسا.
2–الأستاذ: عباس حشاني	مشرفا ومقررا.
3–الأستاذ: محمد الطاهر بوشمال	عضوا مناقشا.

السنة الجامعية:

2017/2016 م – 1438/1437هـ

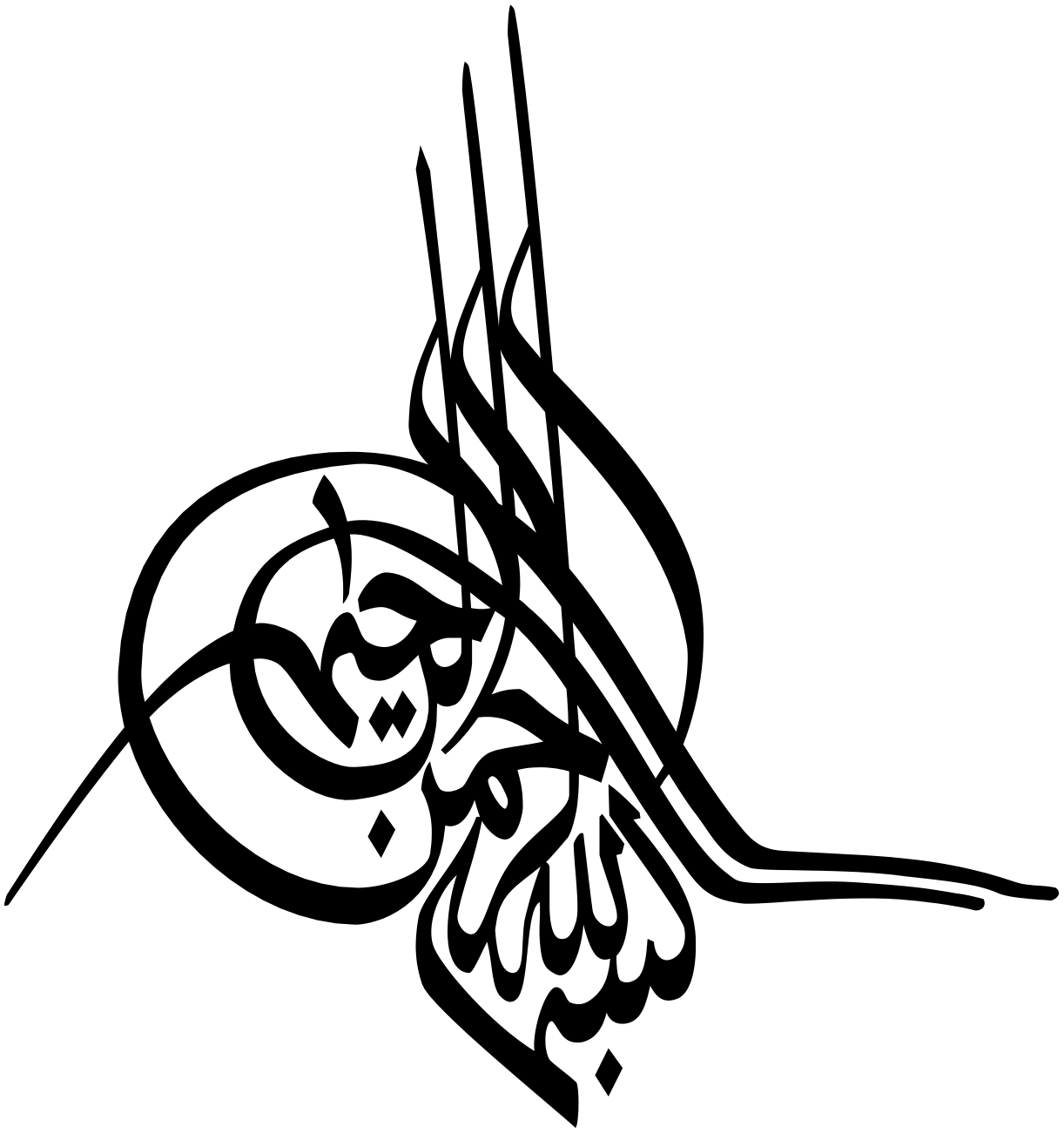
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"من لايشكر الناس لا يشكر الله "

الحمد لله الذي انار لنا درب العلم والمعرفة واعاننا على اداء هذا الواجب

ووفقنا على انجاز هذا العمل .

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان الى كل من ساعدنا من قريب او بعيد في تذليل

ماواجهناه من صعوبات ،ونخص بالذكر الاستاذ المشرف "**عباس حشاني**"

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في اتمام هذه المذكرة.

كما نتوجه بالشكر الى اعضاء لجنة المناقشة

و كل اعضاء كلية الآداب أساتذة و اداريين وطلبة.

محمد و نبيل

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصّمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، مُجري السّحاب هازم الأحزاب، منزل القطر من السّماء، ومعلِّم الإنسان ما لم يعلم، وهو الذي خصّ نبينا الكريم بكمال الفصاحة والبيان إذ يقول سبحانه في محكم تنزيله ﴿ قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾، كما أنّ الرّسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم يقول (أنا أفصح العرب بيد أني ولدت في قريش وتربيت في بني سعد)، فهو الذي أوتي جوامع الكلم وخير من نطق بالضاد.

ونصلِّي ونسلِّم على الرّسول الكريم المرشد الأمين، خير من صلّى وقام وتلا القرآن باللّيل والنّهار صلوات ربِّي وسلامه عليه وبعد:

إنّ الله تعالى قد فضّل هذه الأمّة على سائر الأمم الأخرى بفضل كبير ويتجسّد هذا الفضل في اختياره للّغة العربيّة والتي هي لغة الوحي، حيث جاء التّنزيل الحكيم بلغة العرب، إذ كان العرب يمتازون بقوّة لغويّة لا نظير لها في باقي اللّغات الأخرى، لكن جاء القرآن ليقوي لغة العرب وليشحذ الألسن على لغة قويّة قائمة على منهج ربّاني صحيح لا زيغ ولا شكّ فيه، لذلك جاء القرآن وأنزله على أطهر خلق الله محمّد صلّى الله عليه وسلّم وهو المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة.

وانطلاقا من ذلك كلِّه أصبحت للّغة العربيّة مكانة مرموقة بين علماء اللّغة العربيّة، وأصبحت الحصن الحصين لمن أراد فهم الذِّكر الحكيم، فلا فهم ولا تدبّر للقرآن الكريم وكذلك السنّة الشّريفة إلّا من خلال هذه الوسيلة الشّريفة، لذلك نجد الكثير من العلماء من بذلوا الجهد الكبير في إرساء قواعد اللّغة العربيّة والاهتمام

بكلّ ما يتعلّق بهذه اللّغة من فروع أخرى خادمة للّغة العربيّة ككلّ ونتيجة لذلك ظهرت العديد من المؤلّفات المختلفة الخادمة لهذه اللّغة.

و في مقابل اللّغة العربيّة واهتمام العلماء بها، كان للّغات الأخرى اهتمام كبير من طرف علمائها، وهذا إنّما يدل على مكانة اللّغة في حياة الشّعوب، فلا يمكن أن نجد شعبا من الشّعوب لا يهتمّ باللّغة، فباللّغة يستطيع الإنسان تحقيق كلّ ما يحتاجه من متطلّبات الحياة، ونتيجة التّطور الحاصل الذي عرفته جميع الأمم، ظهر العديد من العلماء اللّغويين الّذين اهتموا بكلّ ما يخصّ اللّغة وبذلك ظهرت تأليفات كثيرة في ميدان العلوم اللّغويّة على اختلاف فروعها.

و عليه و من خلال مقولة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الحكمة ضالّة المؤمن أنّى وجدها فهو أحقّ بها لذلك فإن الاجتهادات التي قدّمها علماء الغرب في مجال اللّغة يمكن أن تكون خادما قويّا للّغة العربيّة ليس ذلك انتقاصا من قيمة اللّغة العربيّة على اعتبار أنّها لغة القرآن الكريم، لكن الأمر يرجع إلى الإنسان (الفاعل) والذي قد تعتريه مشاكل وظروف سواء على المستوى الشّخصي أو على المستوى القومي، فلو تتبعنا جهود علماء اللّغة الغربيّين لوجدنا أنّهم يعتمدون على ما قدّمه علماء اللّغة العربيّة، لكن –طبعا– نجد إضافات أخرى لهؤلاء لا نقول من قبيل المفاضلة على علماء اللّغة العربيّة لكن من باب الاختلاف في الطرح واعتماد مناهج أخرى، ولو أخذنا أنموذجا لذلك لتعزّز القول بشواهد، وهذا ما أردنا أن ننتهجه في عملنا هذا، حيث اعتمدنا على جهد من الجهود اللّغوية لعلماء الغرب و يتجسّد هذا بالضّبط في نظريّة الأفعال الكلاميّة لأوستن وسيرل، فهما يعتبران من روّاد نظريّة الأفعال الكلاميّة، وهذه النظريّة هي جزء من التّداولية على اعتبار أنّ التّداوليّة اعتبرت علما قائما بذاته له مبادئه واتّجاهاته وموضوعاته، إذ أنّ التّداوليّة تهتمّ بالاستعمال اليومي للّغة، كما أنّ هذا الاستعمال يقوم على عمليّة ضروريّة للتّواصل وهي عمليّة التكلُّم لأن التكلُّم ما هو إلّا

عبارة عن تفعيل للّغة، ولولا التكلّم لما كان للّغة وجود، ولما تمكّن الإنسان من التّواصل، ونظرا للمكانة التي تمتاز بها عمليّة التكلّم، كان ذلك كدافع قويّ للقيّام بعمليّة البحث عن حقيقة هذه النظريّة وما تمتاز به هذه النظريّة من خصائص ومميّزات مكّنتها من أن تحتلّ الرّيادة في ميدان التّداوليّة.

وما دام حديثنا عن التّداوليّة، وأنّها ترتكز على أمر مهمّ وهو الاستعمال اللّغوي بين أفراد العمليّة التّخاطبيّة، والإنسان ما دام أنّه اجتماعي بطبعه فهو كذلك لغوي بطبعه إن صحّ التّعبير، وذلك أنّه لا يستطيع أن يعيش بلا كلام، فهو مجبول على حبِّ الكلام أو الاستماع إلى الكلام، لذلك فالتّداوليّة تسعى إلى تسليط الضّوء على فعل الكلام الذي يتمّ تداوله بين أفراد العمليّة التّخاطبيّة، كما أنّ تداول الكلام بين الأفراد قد يكون هو من الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها و بالتّالي تحقيق أهداف سواء على مستوى شخصي أو اجتماعي، وقد لا يكون ،وهذا ما يدخل ضمن ما يسمّى النّجاحات والإخفاقات على حدِّ تعبير روّاد نظريّة الأفعال الكلاميّة.

وإذا انطلقنا من قول النّبي صلّى الله عليه وسلّم احرص على ما ينفعك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وبالضّبط من فكرة ما يسمّى بالبرغماتيّة، نصل إلى أنّ أجمل وأفضل وأحسن ما نتداوله من كلام عند عمليّة التّواصل وبالتّالي تحقّق النّجاح لكلامنا هو كلام ليس له نظير بعد كلام الله، وهو كلام النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ومن خلال ذلك قام العديد من العلماء الأجلّاء بضرورة الاهتمام بالأحاديث الشّريفة لتي جاءت عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم، ومن هؤلاء العلماء النّووي رحمة الله عليه، من خلال متْنه المسمّى بالأربعين النّوويّة، لذلك اتّخذنا من الأربعين النّوويّة ميدانا خصبا لنطبّق عليه النّظريّة ليتمّ الإجابة على مجموعة من التّساؤلات والتي مفادها كما يلي:

ما المقصود بالأفعال الكلامية؟ وكيف نشأت؟ وماهي أقسامها؟ ومن هم روّاد النّظريّة؟ وهل أثّرت في الباحثين العرب؟ وكيف يمكن تطبيق هذه النّظريّة على نصٍّ الحديث النّبوي الشّريف؟

أسئلة أعطت دفعا قويّا للقيّام بعمليّة البحث، وعليه فللإجابة على هذه الأسئلة تتبّعنا خطّة قسّمنا فيها عملنا إلى مدخل وفصلين مع مقدِّمة –طبعا– في بداية العمل أمّا سبب الاختيار لهذا الموضوع فيمكن تحديده بسببين الرّغبة والميول والكشف عن أهميّة الأفعال الكلاميّة في عمليّة التّواصل اللّغوي، وقد تطرّقنا في المدخل إلى التّداوليّة ونظريّة الأفعال الكلاميّة والإشارة إلى الأحاديث النّبويّة الشّريفة وجهود العلماء مرتكزين على النّووي في شكل موجز، وبعد المدخل والمقدِّمة فصلان:

فالفصل الأول: ورد موسوما بـ: **في نظريّة الأفعال الكلاميّة** وتناولنا فيه مبحثين، فالمبحث الأول تمّ التطرّق فيه إلى ماهية الأفعال الكلاميّة والنّشأة، وأقسام الأفعال الكلاميّة.

أمّا المبحث الثّاني: فقد تطرّقنا فيه إلى تطوّر نظريّة الأفعال الكلاميّة عن الغرب والعرب.

أمّا الفصل الثّاني والذي يعدّ الفصل التّطبيقي والمعنون بـ: **الأفعال الكلاميّة في الحديث الشّريف** واعتمدنا فيه على مبحثين و تناولنا في المبحث الأوّل : التّعريف بمتن الأربعين النّووية والتّعريف بصاحب المتن النّووي.

أمّا المبحث الثّاني فقد تناولنا فيه تجلّيات نظريّة الأفعال الكلاميّة عند سيرل ووفق تصنيفه الخماسي للفعل الكلامي: إخباريّات، أمريّات، الزاميّات، بوحيّات، إعلانيّات.

وجاءت خاتمة البحث عبارة عن نتائج وخلاصة شاملة للموضوع، والذي انتهجنا فيه منهجيّ الوصف والتّحليل.

أمّا مصادر البحث ومراجعه، فقد لجأنا إلى القرآن الكريم واعتمدنا على متن الأربعين النّوويّة وبعض شروحاته وخاصّة شرح العثيمين، وبعض المتون.

أمّا بقيّة المراجع فقد كانت متنوّعة بين كتب الحديث والبلاغة واللّسانيات والمعاجم، وهذا ما سيتمّ الإشارة إليه لاحقا في قسم خاص بالمصادر والمراجع المعتمدة.

مدخل:

1-التداولية

2-نظرية الأفعال الكلامية

3-نبذة عن الأربعين النووية

من المعلوم أنَّ التَّداوليَّة ظهرت ضمن تمخضات الفلسفة التحليلية، وخرجت من رحم الثقافة الأنجلوساكسونيَّة، وكان ذلك في الولايات المتحدة الأمريكيَّة و إنجليترا، و يعود هذا التَّطور إلى الدَّور الذي لعبته هذه الاتجاهات الفلسفيَّة، وإلى المشاكل النَّاجمة عن النَّظرية التَّوليديَّة نتيجة تمسّكها باستقلاليَّة التركيبL'autonomie de la syntaxe "فاهتمام اللِّسانيِّين بالمظاهر التَّداوليَّة للّغة بأنَّه كان ردّ فعل على الأطروحات الجذريَّة لتشومسكي، وخاصّة تلك المتعلِّقة باستقلال[علم] التركيب. فالمختصّون في التَّركيب [الباحثون خارج السّبل] التّقليديَّة قد اعترضتهم شيئا فشيئا قضايا دلاليَّة أو تداوليَّة، أصابت علم التَّركيب بالعدوى [التَّداوليَّة][1].

لم تكن فكرة التَّداوليَّة عبارة عن تخمينات و فرضيَّات، لا أساس لها من الصّحة و إنّما كانت لها جذور وأصول فلسفيَّه، منبثقة من أعمال – أو تعود إلى– الفيلسوف جون أوستين و تلميذه سيرل، " حيث وضع كلّ منهما نواة التَّداوليَّة في حقل فلسفة اللُّغة العاديَّة، إذ طوَّرا من وجهة نظر المنطق التَّحليلي (Logique analytiqu) مفهوم العمل اللُّغوي (Act de longage) و قد كان أوستين (1911-1961) أستاذا للفلسفة بجامعة أوكسفورد أمّا تلميذه سيرل المولود بتاريخ (1932) فكان يدرِّس بجامعة بركلي بولاية كاليفورنيا"[2].

إنَّ تطور التَّداوليَّة يرجع إلى أعمال فلاسفة اللُّغة، أمثال وليام جيمس و بول كرايس ضمن المحاضرات المقدّمة من طرفيهما، و بلغت التَّداوليَّة قمَّة تطوُّرها و ازدهارها، من خلال محاضرات جون أوستين و " هذه المحاضرات التي لم تسمح فقط بإحداث تقدُّم في مستوى معرفتنا باللُّغات الطبيعيَّة، ولكن أحدثت تغيُّرًا طال حتّى هندسة اللِّسانيَّات"[3].

ونافلة القول أنَّ هذه الأعمال الفلسفيَّة قد لعبت الدَّور الكبير في إرساء قواعد البحث التَّداولي، وأعادت الاعتبار للِّسانيِّات التَّداوليَّة، هذه الأخيرة أخذت على عاتقها مهمّة أخرى، تتمثّل في دراسة مختلف نماذج الأفعال اللُّغويَّة و التي عرفت بالأفعال الكلاميَّة أو التكلّميَّة، وكذلك دراسة كيفية استعمال هذه الأفعال في عمليّة

(1) جاك موشلر– آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر: (مجموعة من الأساتذة)، دار سنيترا، تونس، ط2010،2، ص13.

(2) فيليب بلاتشيه: التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر(صابر الحباشة)، دار الحوار، سورية،ط1، 2007، ص 20.

(3) إدريس مقبول: الأسس الإبستيمولوجية والتّداولية للنّظر النّحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديثة،ط1، الأردن، 2006، ص 267.

التّواصل، بالإضافة إلى تركيزها على المتكلِّم و الوسائل اللِّسانيّة التي يمتلكها و يسعى إلى اقحامها في عمليّة التَّواصل اللُّغوي.

إنَّ هذا النَّوع من اللِّسانيِّات أصبح يسعى جاهدا إلى الاجابة على العديد من التَّساؤلات، والتي يمكن أن نوجزها في الأسئلة التَّالية: هل يتحَّقق الفعل اللُّغوي بوضوح؟ أو يتحقَّق بشكل ضمني؟ هل يرتبط بحضور علامات لسانيّة؟ أو يحدِّده سيَّاق القول؟ لذلك نجد العديد من الدِّراسات اللُّغويَّة، أولت اهتماما بالغا بالأفعال اللُّغويَّة وكيفيّة تشكُّل هذه الأفعال اللُّغويَّة في بنى و تراكيب من الجمل و العبارات التي يتمّ تداولها و استعمالها من طرف المتكلِّمين، و هذه البنى و التّراكيب تكون حاملة للمعاني بنوعيها الصَّريح و الضّمني، كما أنَّ هذه المعاني قد تكون معاني مقدَّرة أو معاني محصّلة، و هذا في إطار ما يسمّى بالمستويات اللُّغوية أو اللِّسانية (كالجملة والقول)، فالعبارات و الجمل التي تتمُّ بين المتخاطبين تكون حاملة لمضامين و معاني مختلفة، وتؤسّس وفق سيّاقات ذات أبعاد متعدِّدة، حيث يعد السّياق العنصر الأساسي الذي يكمّل الدّلالة و يتممُّ الفائدة، وتنجح من خلاله العملية التبليغيَّة " و لقد كانت هناك دراسة أساسيَّة تهتمّ بتسلسل الأفعال اللُّغويَّة داخل الخطاب أي الشُّروط التي لا تحدِّد فقط الملاءمة السيَّاقية للأفعال اللُّغويَّة، و لكن أيضا الملائمة التَّساوقية" [1].

إنَّ اللُّغة لا يمكن أنَ تنجز و لا أنَ تتحقّق إلا في إطار أبعادها السيَّاقية و ظروف و أحوال مستعمليها.

لذلك نجد أنَّ الدّراسات اللُّغويَّة تأثّرت إلى حدّ كبير بالأوضاع الثَّقافيّة و الاجتماعية والأدبيَّة، وانطلاقا من ذلك اعتبر اللُّجوء إلى الاستعمال و المقام كأمر ضروري لفهم العمليّة التَّخاطبيَّة، على اعتبار أنَّ الإنسان هو الكائن اللُّغوي الوحيد، الذي ينفرد عن باقي الكائنات الأخرى.

فالكلمات و العبارات التي يتداولها الأفراد فيما بينهم تكون معزوَّة إلى عوامل نفسيَّة و اجتماعية، على اعتبار أنَّ الأفعال الكلاميَّة عبارة عن سلوك لغوي راجع إلى ذات فاعلة تعبِّر عن أحاسيس و مشاعر إنسانيَّة هذا السّلوك اللُّغوي الفردي الّذي لا يمكن أن يحدث تأثيرا إلاَّ في إطار شبكة من العلاقات الاجتماعية، لذلك نجد من العلماء من أشار إلى أنَّ للِّسان جانب نفسي" لأنَّ الأدلَّة اللُّغوية ليست متكوِّنة من أصوات فقط، بل

[1] ينظر: عبد السَّلام عشير: عندما نتواصل نغيَّر (مقاربة تداوليَّة معرفية لآليات التواصل و الحجاج)، افريقيا الشرق، ط2، الدار البيضاء، 2012، ص61.

هي معاني أيضا (...). و لكنَّ اللِّساني لا يجوز له أن يتجاهل ما يثبته في علم النَّفس بالنِّسبة للجانب النَّفساني للُّغة"[1].

أمَّا بالنِّسبة للجانب الاجتماعي للُّغة فهو يماثل نظيره النَّفسي من حيث الأهميَّة على اعتبار أنَّ اللُّغة ظاهرة اجتماعية، و أنَّها استجابة لحاجة الاتصال بين الأفراد داخل المجتمع، و "بما أنَّ استعمال اللُّغة هو الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعدِّدة، فإنَّ فيرث قام بدراسة مكوِّنات اللُّغة، وفق مكوِّنات اجتماعية بحتة، بالتَّركيز على العلاقات التي تربط اللُّغة بالمجتمع"[2].

و بناءا على ما سبق، فإنَّ الكلام هو عبارة عن سلوك فردي و هو الميزة التي يتميّز بها الإنسان عن غيره

و اللُّغة كما يقول دي سوسير هي عبارة عن سجلّ موجود في عقل كلِّ فرد من أفراد المجتمع، إذ " أنَّ اللُّغة كائن موجود بالقوَّة، و الكلام كائن موجود بالفعل"[3]، و نتيجة لذلك اعتبر الكلام نقطة الانطلاق الأساسية لدى اللِّسانيات التداوليَّة.

فاللِّسانيات التداوليَّة تهتمّ بالاستعمال اللُّغوي بين الأفراد، و هذا الاستعمال لا يتأتّى إلاَّ من خلال عمليّة التكلُّم بين عناصر العملية التَّخاطبيَّة، و عليه فهذا الاتجاه يهتمّ بدراسة الاستعمال اللُّغوي في التّواصل الإنساني و يهتمّ كذلك بالمتكلِّم و السَّامع و العلاقة بينهما، و ما يرافق الكلام من حركات الجسم "وتعبيرات الوجه، و من يشاركون في الاتصال اللُّغوي، و بيئة الحدث و قدرة السَّامع على فهم مقاصد المتكلِّم، و مدى استجابته لهذه المقاصد و ما يتطلَّبه التَّواصل من معاني مقاميّة ، و من خلال كل ذلك سنركِّز الاهتمام على أهمِّ الجوانب التي يقوم عليها البحث التَّداولي، ألا و هي نظريّة الأفعال الكلاميّة، هذه النّظرية التي أخذت حيِّزا كبيرا من اهتمامات اللِّسانيِّين و على رأسهم أوستين و تلميذه سورل و اللّذين أعادا الاعتبار لهذه النَّظرية، حيث كانت اهتمامات الفلاسفة الأوائل مركّزة على قضايا منطقيّة للُّغة معتبرين في ذلك أنَّ اللُّغة لا تخرج عن الوصف وهذا ما انتقده أوستين من خلال أعماله المقدّمة و خاصّة تلك المحاضرات التي ألقاها و كانت هذه المحاضرات بداية التّأسيس لنظريّة الأفعال الكلامية، و هذه النَّظرية بدأت تتطوّر شيئًا فشيئًا، و تعدّدت الآراء حولها حتّى في مفهومها نجد آراء مختلفة و متباينة في ذلك ففي التّرجمة الإنجليزية تترجم على أنَّها أفعال الكلام و هي ترجمة لعبارة

---

[1] التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللِّسان ، دار الوعي النشر للتوزيع، الرويبة (الجزائر)، 2008، ص 53.

[2] أحمد مومن: اللِّسانيّات النشأة و التطوُّر، ديوان المطبوعات الجامعية، ط4، 2008، ص 175.

[3] رفاس سميرة: مباحث أساسيّة في علم اللُّغة العربية، دار أمّ الكتاب للنّشر و التّوزيع،ط1،مستغانم(الجزائر)،2013،ص 74.

Speech Act Theoryوالعبارة الفرنسية La Théorie des Actes de parole، كما نجد لهذه النَّظرية ترجمات في اللُّغة العربية مثل نظرية الحدث اللُّغوي، النظرية الانجازية و نظريَّة الفعل الكلامي، و غيرها من الصيغ و هي فرع من اللِّسانيات التداوليَّة ،ولقد مرّت هذه النّظرية بعدّة مراحل لعلّ أهمّها مرحلة التّأسيس ويمثِّلها جون أوستين و مرحلة النّضج المنهجيّ و يمثِّلها سيرل، ففي مرحلة التَّأسيس يمكن أن نّجمل فكر أوستين في نقطتين أساسيّتين هما:

أ. رفض ثنائيّة الصِّدق و الكذب.

ب. الإقرار بأنَّ كلّ قول هو عبارة عن فعل أو عمل.

لذلك فإنَّ أوستين ميّز في هذه المرحلة بين نوعين من الأفعال:

أفعال إخبارية أو أفعال تقريرية constatif/constative، و هي الأفعال التي تخبر أو تصف الواقع الخارجي و يحكم عليها بالصِّدق أو الكذب و أفعال أدائيّة أو إنشائيّة performatif/performativ،

و ليس لهذه الأفعال خصِّيصة الحكم عليها بالصِّدق أو الكذب فهي تستخدم لإنجاز فعل مثل قولي: "أرجو منك المعذرة" فهذا القول يعبِّر في الوقت نفسه على أنَّ ثمّة طلبا للمعذرة فضلا عن كوني أعرب عن رجاء فالعبارة إذا لا تخضع لقاموس" "الصِّدق و الكذب"، و إنَّما يحكم عليها بالنّجاح و التوفيق و السّعادة طبعا إذا راعى فيها المتكلِّم شروط أدائها و كان أهلا لفعلها أو العكس، فقد يحكم عليها بالإخفاق وعدم التّوفيق والتّعاسة إذا لم يراع فيها المتكلِّم شروط أدائها و لم يكن أهلا لفعلها، و أطلق على الشّروط التي تتحقّق بها الأفعال الأدائيّة اسم "شروط الملائمة" و حصرها في ثلاثة أنماط و هي كالتّالي:

1. وجود إجراء عرفي مقبول، و له أثر عرفي محدّد، و ينبغي أن يكون القائمين به مناسبين لهذا الإجراء المحدّد، وأن تكون الظّروف مناسبة أيضا. وربّما يقصد أوستين ما تعارف عليه الناس من تسميّات للأشياء.
2. يجب أن يؤدِّي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء صحيحا و ذلك بالبعد عن استعمال العبارات الغامضة والمبهمة، و يجب أن يؤدِّي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداء كاملا. أي تداول العبارات الواضحة[1]

[1] ينظر: مجلة الأثر: أشغال الملتقى الدولي الرابع في فكر الخطاب، العدد الخامس، جامعة ورقلة ،ص ص 51-54.

3. أن يشترك القائم بالإجراء و المشارك فيه في الأفكار و المشاعر نفسها، و على المشارك في الإجراء أن يوجّه نفسه إلى ما يستتبعه ذلك من سلوك ظاهر. أي وجود تأثّر مشترك بين المتكلِّم و السّامع

واعتبر أوستين أنّ الشّرطين الأوّلين لازمان لأداء الفعل فإذا اختلّ شرط منهما فإنَّ الفعل لا يؤدّى وتسمّى الأفعال التي تخالف هذين الشّرطين اسم الإخفاقات، في حين إذا اختلّ الشّرط الأخير فإنَّ الفعل يؤدِّى تأديَّة سيِّئة وتسمّى هذه الأفعال بالاساءات. أي اخفاق في اختيار وانتقاء الكلمات واساءة لشعور الآخر من الطِّرفين يعني أنّ المتكلم قد يؤثِّر على مشاعر المتلقِّي وقد يكون هو الذي يسئ إلى المتكلِّم وذلك بعدم الاهتمام به.

وفي مرحلة ثانية من تطوّر النّظرية حاول أوستين مراجعة و تعديل هذه التّقسيمات و الشّروط التي وضعها للتّمييز بين الأفعال الاخبارية و الأدائيّة، فرأى أنَّ الفعل الكلاميّ مركّب من ثلاث أفعال تشكِّل كيانا واحدًا فتؤدِّى في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي، و لا يمكن تجزئتها أو فصلها إلاَّ من قبل التسيير الإجرائي قصد الفهم و الدِّراسة فقط.

1. فعل القول أو الفعل الصّوتي أو اللَّفظي أو الفعل اللُّغوي: و يتمثّل في التّلفّظ بجمل مفيدة ذات بناء نحوي صحيح فينتج عنه المعنى الأوّلي أو إنتاج أصوات منتمية إلى لغة معيّنة، و هذا الفعل يقع دائما مع كلِّ قول لكنّه و إن أعطى معنى ذلك القول فإنَّه لا يزال غير كاف لإدراكنا أبعاد هذا القول، وهو كلّ ما نتكلّم به **فعل متضمِّن في القول أو الفعل العرضي أو الانجازي:** ويقصد به ما يؤدِّيه الفعل اللَّفظي أو الصّوتي من وظيفة في الاستعمال فغاية المتكلِّم التّعبير عن معنى في نفسه كالأمر والاعتراض،الموافقة , والقبول , والنّصح،وغيرها والفرق بين الفعل الأوّل و الفعل الثَّاني هو أنَّ الثَّاني قيّام بفعل ضمن قول شيء في مقابل القيّام بفعل هو قول شيء،وهو المقصد من كلام المتكلِّم فمثلا :قول الأستاذ القسم بارد وهو يقصد ربّما بغلق النّوافذ.

2. **الفعل النّاتج عن القول أو الفعل بواسطة القول أو الفعل التّأثيري:** و هو ما يتركه الفعل الانجازي من تأثير في السَّامع أو المخاطب سواء كان التّأثير تأثيرا جسديًّا أم فكريّا، و الغاية من حمله على اتِّخاذ موقف أو تغيير رأي، أو القيّام بعمل ما،وهو الذي يؤدِّي إلى إحداث تغيير على مستوى السّلوك أو على مستوى الأفكار[1].

ثم قام أوستين بتجميع و تصنيف جميع الأفعال اللُّغوية،في خمس فصائل كبرى هي:

[1] ينظر :مجلة الأثر: أشغال الملتقى الدولي الرابع في فكر الخطاب، المرجع السابق، ص ص 55، 56.

1. **الأفعال اللُّغوية الدّالة على الحكم (الحكميّة أو الحكميّات):**

و هو كلّ فعل يدلّ على حكم يصدره مُحَكِّم أو حَكَمَ مثل: حكم، قدّر، قوّم، شخّص، عيّن، وصف، حلّل ...إلخ.

2. **الأفعال اللُّغوية الدّالة على الممارسة أو القرارات (الإنفاذيات):**

و هو كلّ فعل يعبِّر عن اتِّخاذ قرار أو ممارسة في صالح شخص أو ضدّه مثل : عيَّن، حذّر، حَرَمَ، أذن نصح، جنَّد، اختار...إلخ.

3. **الأفعال الدِّالة على السّلوك أو السّيرة (السّلوكيّات):**

و هو كلّ فعل يعبِّر عن سلوك أو سيرة المتكلِّمين بجوهر الاجتماعية مثل: شكر، لعن، اعتذر، تعاطف، هنّأ...إلخ.

4. **الأفعال الدّالة على العرض أو الإيضاح:**

و هو كلّ فعل يؤتى به لتوضيح وجهة نظر أو بيان الرّأي و ذكر الحجّة مثل: اعترف، ردَّ، أثبت، اعترض افترض، شكّ، استفهم، وافق، أكّد، أنكر، أجاب ، وهب، فسَّر...إلخ،والمثال على ذلك قول المجرم أنا قتلت الرّجل وهو هنا يعترف بجريمته

5. **الأفعال الدّالة على الوعد أو التعهّد (الوعديّات):**

و هو كلّ فعل يعبّر به عن وعد من طرف المتكلّم بفعل شيء مثل وعد، تعهّد، تعاقد،ضمن، كفل، قبل التزم...إلخ مثل قول شخص لصديقه سأزورك اليوم ،فهو هنا يلزم نفسه بزيارة صديقه.

ومع كلِّ ذلك لم يوفّق أوستين إلى وضع أسس قويّة تقوم عليها هذه النَّظرية حتّى مجيء سيرل، و الذي وضع الأسس المنهجيّة الواضحة لذلك أمّا مرحلة النّضج المنهجيّ فيعتبر سيرل واضع هذه الأسس المنهجيّة لنظريّة الأفعال الكلاميّة، و كما يعتبر كذلك مطوِّر أفكار أوستين و تنهض أفكاره على المبادىء التّالية[1]:

[1] ينظر: مجلة الوتر: أشغال الملتقى الدولي الرابع في فكر الخطاب، المرجع السابق، ص ص 56،57.

1. يعدّ الفعل المتضمّن في القول الانجازي: هو الوحدة الصّغرى للإتّصال اللّغوي، و للقوّة الانجازية دليلا يبيّن لنا نوع الفعل الانجازي الذي يؤدّيه المتكلّم حين نطقه الجملة، كالنّبر و التّنغيم و صيغ الفعل.

2. الفعل الكلامي لا يقتصر على مراد المتكلّم بل يرتبط أيضا بالعرف اللُّغوي و الاجتماعي.

3. طوّر شروط الملائمة التي تحدّث عنها أوستين و جعلها أربعة شروط و طبّقها على الفعل الانجازي تطبيقا محكما و هذه الشروط:

أ. **شروط المحتوى القضوي**: ويتحقّق كأن يكون للكلام معنى قضوي، و القضوي نسبة إلى القضيّة التي تقوم على متحدّث عنه أو مرجع متحدّث به أو خبر، و المحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضيّة، و يتحقّق شرط المحتوى القضوي في فعل الوعد مثلا إذا كان دالّا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلّم نفسه، فهو فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب،ومثال ذلك قول الطّالب سأنجح في العام القادم فهو ألزم نفسه بقضيّة النّجاح.

ب. الشّرط التّمهيدي: و يتحقّق إذا كان المتكلّم قادرا على إنجاز الفعل،أي أنّ التحقّق متوقّف على ظروف المتكلّم المساهمة في إنجاز الفعل .

ج. شرط الإخلاص: و يتحقّق حين يكون المتكلّم مخلصا في أداء الفعل.

د.الشّرط الأساسي: و يتحقّق حين يحاول المتكلّم التّأثير في السّامع لينجز الفعل.

4. صنّف الأفعال الكلامية إلى خمسة أصناف و هي:

أ. الإخباريات و التقريرات: و اتّجاه المطابقة في الغرض الإخباري أو التّقريري هو من القول إلى العالم و لا يوجد شرط عام للمحتوى القضوي في الإخباريات لأنَّ كل قضيّة يمكن أن تشكّل محتوى في الإخباريات، و أفعال هذاّ الصّنف كلّها تحتمل الصّدق و الكذب.

ب. التّوجيهات أو الأمريّات أو الطّلبيّات: واتّجاه المطابقة في الغرض التّوجيهي يكون من العالم إلى القول والمسؤول عن إحدات المطابقة هو المخاطب، والشّرط العام للمحتوى القضوي هو أن يعبّر عن فعل مستقبل للمخاطب و قدرة المخاطب على إنجاز ما طلب منه[1].

[1] ينظر :مجلة الأثر: أشغال الملتقى الدولي الرابع في فكر الخطاب، المرجع السابق، ص ص 58 ،59.

ج. **الإلتزامات أو الوعديّات:** و اتّجاه المطابقة في الغرض الإلتزامي تكون من العالم إلى القول و المسؤول عن إحداث المطابقة هو المتكلّم، و الشّرط العام للمحتوي القضوي هو تمثيل القضيّة فعلا مستقبلا للمتكلّم و قدرة المتكلّم على أداء ما يلزم نفسه به، أي إلتزام المتكلّم بمايقول .

د. **التّعبيريات أو البوحيّات:** و اتّجاه المطابقة في الغرض التّعبيري هو الاتجاه الفارغ، و ليس هناك شرط عام محدّد للمحتوى القضوي في التّعبيرات، و القضايا التي تتضمّنها البوحيّات ترتبط بالمتكلم و المخاطب.

هـ. **الإعلانيّات أو الإقاعيّات:** و اتّجاه المطابقة في الغرض الإعلاني قد يكون من القول إلى العالم أو من العالم إلى القول أي الاتجاه المزدوج و لا يحتاج إلى شرط إذ يكفي إنجازهما بنجاح لتحقيق المطابقة.

5. فرّق أوستين بين الأفعال اللّفظية و الأفعال الانجازية و فرّق بين الانجازية الصّريحة و الأولية، ثم خطى سيرل خطوة مهمّة في هذا الاتجاه فميّز بين الأفعال الانجازية المباشرة و الأفعال الانجازية غير المباشرة أو الحرفيّة و غير الحرفية أو الثّانوية و الأوّلية و أكثر المصطلحات المتداولة عنده هي المباشرة وغير المباشرة.

" وانطلاقا من كل ذلك، فإنّ أوستين اعتبر بأنَّ إنشاء جملة لسانيّة هو في حدّ ذاته فعل لغوي، ينتمي إلى نظرية اللغة و بالتّالي يحقّق فعل القول أفعالا اعتقاديّة من قبيل التّأكيد و الأمر و النّهي و الإستفهام...إلخ

ولذلك فمن خلال القول يمكن إنجاز فعل الكلام Acte illocutionnaire و هو مصطلح مختصر للتلفظ و يكون له « معنى و مرجع» كما يعرف في الدّلالة، وكما يتمّ إنجاز قوى أفعال الكلام كالإخبار و الأمر و التّحذير...إلخ، كما يتمُّ إنجاز لازم فعل الكلام Acte Perlocutoire، و ما يحدث فعل القول من تأثير على المستمع أو الوصول إلى الإقناع بفعله أو تركه، و عليه فغاية لازم فعل الكلام هي الدّفع إلى العمل، لأنَّ العبارة إذا كانت تدلّ على قصد العمل صارت إنشاء.

لذلك فإنَّ أوستين ميَّز بين الأفعال الانجازية، و الأفعال غير الانجازية، حيث اعتبر أنَّ الأولى تتحقّق بمجرّد النّطق بها، أمّا الثانيَة لا يتحقّق انجازها مثل المشي، إذ لا يكفي أن أقول: أمشي لنحقّق الفعل المناسب[1].

"و قد شكَّل الجانب الانجازي من الفعل دعامة أساسيّة للتّقدم المتردّد للتّداولية، إذ لا يمكن وضع نظرية تداولية، دون مواجهة مجموع الأفعال الممكنة للأفراد و كما يقول Martin « ما يجب تعريفه في التّداوليّة ليس

[1] ينظر:مجلة الأثر: أشغال الملتقى الدولي الرابع في فكر الخطاب، المرجع السابق، ص ص 58،59.

إلا ما يشكِّل مرجعيّة لمجوع الأفعال، كما هو الشّأن لمجموع الأقوال في النّص أو الخطاب»، إذ ليس هناك فعل معزول عن غيره، أي بدون قطيعة و بدون قفزة في المجهول[1].

من خلال كلِّ ما سبق ذكره، عن التَّداولية كمجال من مجالات دراسة اللغة، و نظرية الأفعال الكلامية والتي تعدّ من أهمِّ النّظريات في اللِّسانيات التّداولية، و ما جاءت به هذه النّظرية من قضايا و مفاهيم جديدة أحدثت تحليلات و تفسيرات على السَّاحة اللّغوية، لذلك جاز لنا أن نتطرّق إلى عنصر مهمّ في هذا العمل. والذي يمكن أن نسمِّيه بلغة المنهجيّة الجانب التّطبيقي و يتمثّل في مدوّنة الأربعين النّووية.

يعدُّ علم الحديث النّبوي الشّريف من بين أهمِّ و أنفع العلوم، و التي أخذت حيِّزا كبيرا من اهتمامات العلماء المسلمين، و ذلك لأنَّ الحديث النَّبوي الشّريف يعتبر المصدر الثّاني بعد القرآن الكريم، و انطلاقا من المكانة التي يمتاز بها الحديث النبّوي الشِّريف، قام العديد من العلماء المسلمين بضرورة الاهتمام بهذه الأحاديث وتنقيّتها من كلِّ الأحاديث التي لا تنتسب إلى الحبيب المصطفى عليه الصّلاة و السَّلام، لأنَّ الأحاديث النبّوية نجد فيها الضّعيف و الموضوع و الصّحيح...إلخ، فمنذ السنوات الأولى لفجر الإسلام و على مرِّ العصور واختلاف الدّهور، إنبرى هؤلاء العلماء الجهابذة و حملوا على عاتقهم بضرورة العناية بالأحاديث النَّبوية الشّريفة وحماية هذه الأحاديث من أي تزييف أو تحريف لها و التّصدي لكل أصحاب البدع و الأهواء و نجد على رأس هؤلاء العلماء الرَّبانيين الذين بذلوا بالنّفس و النّفيس من أجل جمع الأحاديث النّبوية صافية نقية بلا تزييف ولا تدليس و من هؤلاء العلماء الإمام أبو زكريا شرف النّووي العَلَمْ الجهبذ، و الذي يعدّ من أكبر علماء الأمّة الإسلاميّة، عِلْمًا و ورعًا و أخلاقا يشهد له الدّاني و القاصي، الكبير و الصّغير بما قدَّمه من اجتهادات في علوم شتَّى، كعلوم الحديث و علوم اللغة، و غيرها، و يرجع له الفضل في تأليف كتاب الأربعين النووية و الذي يعدُّ من أروع ما ألّف في علوم الحديث، حيث داعت شهرته و انتشر بين المسلمين، و أصبح متداولا بين جميع النّاس لذلك أخذته الأمّة بالقبول و اهتمّ به العلماء الفحول من خلال تعليقاتهم وشروحاتهم على ما قدّمه الإمام النووي.

[1] ينضر: عبد السلام عشير: عندما نتواصل تغيَّر لمقاربة تداوليَّة معرفية لآليات التواصل و الحجاج، ص ص 65 ،66.

الفصل الأول:

في الأفعال الكلامية

تـوطئـة:

تعدُّ نظريّة الأفعال الكلاميّة من بين أهمِّ النظريّات التّداولية، و يعود ميلاد هذه النّظرية إلى ما قدّمه جون أوستين و تلميذه جون سيرل في أبحاثهما اللّغوية، حيث كانت لهذه الأبحاث و الدِّراسات – وبالخصوص محاضرات أوستين– الحجر الأساس لظهور هذه النّظريّة.

كما كان الفلاسفة يهتمّون باللّغة الواضحة، لكن ذلك الاهتمام كان قاصرا على فهم اللّغة في عمومها على اعتبار أنّ اللُّغة أداة و وسيلة من وسائل التَّواصل اللُّغوي، داخل المجتمع و نتيجة لذلك انبرى فلاسفة اللُّغة التَّحليليّة و على رأسهم أوستين و تلميذه سيرل للخوض في توجيه الاهتمام لِصَالح اللّغة اليوميّة المستعملة مع تركيز الاهتمام عليها بالبحث و الدِّراسة المتعمّقة و المتفحّصة لكل شاردة و واردة في المجال التَّداولي للّغة.

و انطلاقا من ذلك سينصبُّ اهتمامنا في المبحث الأول على: ماهية الأفعال الكلامية، نشأة الأفعال الكلامية و أقسام الأفعال الكلامية.

1- المفهوم:

قبل الولوج في تقديم تعريف للأفعال الكلاميّة يجب علينا أن نّطوف على ما قدّمته المعاجم العربيّة من معاني للجذرين (ف،ع،ل) و (ك،ل،م) .

أ. **لغة:**

ففي **معجم الصّحاح** ورد معنى الفعل كالتّالي:" الفعْلُ بالفتح: مصدرُ فَعَلَ يَفْعَلُ و قرأبعضهم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء:73]

و الفِعْلُ بالكسر الإسم، و الجمع الفِعَالُ مثل: قِدْح و قِدَاح و بئر و بِئَار و الفَعَالُ بالفتح: الكَرَمُ، و قال هدبة [الطويل]

ضَروباً بِلَحَييهِ عَلى عَظمِ زَورِهِ إذا القَومُ هَشّوا لِلفَعالِ تَقَنَّعا

و الفَعَالُ أيضا مصدرٌ، مثل ذهب ذَهَابا، و كانت منه فَعْلَةٌ حَسَنَةٌ أو قبيحَةٌ، و افتعل كذبا و زورا، أي اختلق وفعلت الشيء فانفعل، كقولك: كسرته فانكسر[1].

فمجمل معاني الجذر اللّغوي للكلمة (ف،ع،ل)في معجم الصّحاح تنصبّ في معنى :الانفعال،الحدث.و في **معجم أساس البلاغة** ورد المعنى كالتّالي:" فعل- هذه فعلة من فعلاتك،﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ [الشعراء:19].

و تقول الرّشى تفعل الأفاعيل، و تنسى إبراهيم و اسماعيل[2]

وقال الشّماخ:

إِذَا اسْتَهَلاّ بِشُؤْبوبٍ فَقَدْ فُعِلَتْ بِمَا أَصَابَا مِنْ الأَرْضِ الأَفَاعِيلُ

أي الأعاجيب من وقعهما، و قال ذو الرمّة:

فَكُلُّ مَا هَبَطَا فِي شَأْوِ شُوطِهِمَا مِنَ الأَمَاكِنِ مَفْعُولٌ بِهِ الْعَجَبُ

و فيهما السّؤدد و الفَعَالُ أي الكرم. و هذا كتاب مُفْتَعَلٌ أي مختلق مصنوع. و يقال: شعر مفتعل: للمبتدَع الذي أغرب فيه قائله و يقولون: أعذب الشِّعرِ ما كان مُفْتَعَلا، و أعذب الأغاني المفتعلُ[3].

وعليه فمجمل معاني الجدر اللّغوي للكلمة (ف،ع،ل) تصبّ في معنى:المفتعل ،المختلق.

---

[1] الجوهري اسماعيل بن حمّاد، خليل مأمون شيحا، معجم الصّحاح (قاموس عربي عربي)، دار المعرفة، ط3، لبنان، 2008، ص 816.

[2] الزّمخشري جار اللّه بن احمد ،تح(مزيد نعيم ،شوقي المعري):أساس البلاغة ،مكتبة لبنان ،ط1998،1،ص623.

[3] الزّمخشري جار الله بن احمد، تح (مزيد نعيم، شوقي المعري) :اساس البلاغة، المرجع نفسه، ص623.

أمَّا من معجم العيــن:فقد ورد معنى الجذر كما يلي:

" فَعَلَ يَفْعُلُ فَعْلاً: و فِعْلاً، فالفَعْلُ : المصدر، و الفِعْل: الإسم و الفَعالُ اسم للفعل الحَسنِ، مثل الجود و الكرم ونحوه و يقرأ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾بالنَّصب.

والفَعَلَةُ: العَمَلَةُ، و هم قوم يستعملون الطين و الحَفْر[1].

وعليه فمجمل معاني الجذر اللغوي للكلمة (ف، ع، ل) في معجم العين تصبّ في معنى: الفعل والاستعمال

كلم: لغة:

في معجم العين: فقد ورد معنى الجذر كما يلي:

الكَلْم: الجَرْحُ، و الجميعُ: الكُلُوم. كَلَمْتُهُ أَكْلِمُهُ كَلْمًا، و أنا كَالِمٌ، [و هو مكلومٌ]. أي جَرحتُه

وكليمُك : الذي يُكَلِّمك و تُكَلِّمه.

والكَلِمةُ: لغة حجازيَّة، و الكلمةُ: تميميَّة.

والجميعُ : الكَلِمُ و الكَلِمُ هكذا حكي عن رؤية[2]:

لا يسْمعُ الرَّكبُ من به رَجْعَ الكِلَمْ[3]

فمجمل معاني جذر (ك، ل، م) تدور حول: الجرح

و في معجم أساس البلاغة :فقد جاءت معاني الجذر كما يلي:

"كلم: سمعتُهُ يتكلَّم بكذا، و كلَّمته و كالمتُه، و كانا متصارمين فصارا يتكالمان. وموسى كليمُ الله. ونَطَقَ بِكَلِمة فَصِيحةٍ و بكلمات فِصَاح و بِكَلِمٍ. وجاء بمراهم الكِلاَم، من أطايب الكلاَم و رجل كلِّيم: مِنْطِيقٌ. وكُلِمَ فلان وكلم فهو كَلِيمٌ و مكَلَّمٌ و هم كَلَمَى، وبه كَلْمٌ و كِلاَمٌ و كُلُومٌ.

و من المجاز: حَفِظْتُ كَلِمَة الحُوَيْدرَة لقصيدته، و هذه كلمةٌ شَاعرةٌ و هذا ممّا تكلِمُ العِرضُ و الدِّينَ[4]

ففي هذا المعجم تنصب المعاني حول :النطق

---

[1] الفراهدي الخليل بن أحمد، تح (داود سلوم واخرون):كتا ب العين ،مكتبة لبنان ،ط1،2004،ص638.

[2] الفراهدي الخليل بن أحمد : كتا ب العين، المرجع نفسه ،ص728.

[3] الفراهدي :معجم العين ، كتا ب العين، المرجع نفسه ، ص 723.

[4] الزمخشيري جار الله بن احمد:أساس البلاغة، مرجع سابق، ص 720.

أمَّا في معجم الصَّحاح: فقد ورد في هذا المعجم ما يلي:

كلم: الكلامُ: اسم جنس يقع على القليل و الكثير و الكَلِمُ لا يكون أقلَّ من ثلاث كلمات، لأنَّه جمع كَلِمَةٍ مثل نَبِقةٍ و نَبِقٍ. وبهذا قال سيبويه: هذا باب علم ما الكَلِمُ من العربيَّة، و لم يقل: ما الكَلاَمُ لأنَّه أراد نفس ثلاثة أشياء: الاسم والفعل و الحرف.[1]

" فجاء بما لا يكون إلا جمعًا، و ترك ما يمكن أن يقع على الواحد و الجماعة و تميم تقول : هي كِلْمَةٌ، بكسر الكاف.

و حكى الفرّاء فيها ثلاث لغات: كَلِمَةٌ، و كلمَةٌ و كَلْمَةٌ مثل كَبِدٍ و كِبْدٍ و كَبْدٍ، و وِرْقٍ و وَرِقٍ.

والكَلِمَةُ أيضا: القصيدةُ بطولها، و الكليمُ: الذي يكلِّمُكَ يقال: كلَّمتُه تَكْليمًا و كلامًا، مثل كذَّبْتُهُ تكذيبا و كذَّابا و تَكَلَّمْتُ كِلْمَةً و بِكلْمَةٍ، وكالَمْتُهُ، إذا جاوبته.

وَ تَكَالمَنَا بعد التَّهاجر، و يقال: كانا متصارمين فأصبحا يَتَكَالَمانِ و لاتقل: يتكَلَّمان. و ما أَجِد متكَلَّمًا بفتح اللاّم، أي موضع كلام و الكلمانيُّ: المِنْطيق.

و الكَلْمُ: الجِراحة و الجمع كُلُومٌ و كِلاَمٌ، تقول: كَلَمْتُهُ كَلْمًا و قرأ بعضهم: ﴿دَابَّةً مِنْ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾[النمل: 82].[2]

ففي هذا المعجم تنصبّ المعاني حول :أصل الكلام (أنّه لايكون أقلّ من ثلاث)،النطق،الجرح.

من الملاحظ على المعاجم العربيَّة، أنَّها لا تكاد تخرج في دلالتها للجذرين (ف،ع،ل)و(ك،ل،م)،عن معاني تكون مرتبطة و موجَّهة لذَّات الفاعلة و على وجه الخصوص المتكلِّمة (الإنسان).

فكلمة "فَعَلٌ" تدخل في الحقل الدّلالي والتّداولي الذي يدلُّ على معاني متّفقة في: (الفِعل، الحدث، العمل الصُّنع...)

كذلك بالنِّسبة لكلمة "الكَلِم" تدخل في حقل دلالي وتداولي يدلُّ على معاني (النّطق، التَّصويت القول،...)

فالكلمتان "فَعَلَ" و "الكَلِم" مرتبطتان و متَّفقتان من وجهة الذَّات الفاعلة و المتكلِّمة، فالذّات المتكلِّمة ، من خلال كلامها يتبيَّن أنّ ما قامت به هو فعل، يعني أنَّ القيَّام بالكلام و تأديَّته هو فعل من هذه الذّات، و نوجز

[1] الجوهري اسماعيل بن حمّاد: معجم الصِّحاح، المرجع السابق، ص 922.

[2] الجوهري اسماعيل بن حمّاد: معجم الصِّحاح، المرجع نفسه، ص 922.

ذلك **بعبارة فِعلٌ فِعْلِ الكَلاَم**، فإمكانيّة القيّام بالأفعال أو انجازها كلاميّا ممكنة إذا ما نظرنا إلى ما هو موجود بالقوّة الانجازية للأفعال الكلامية، وماهو مجسّد بالقوّة فعليّا على أرض الواقع.

ب– إصطلاحا:

إنَّ مفهوم الفعل الكلاميSpeech act، يعتبر الرّكيزة الأساسيّة في الكثير من الأعمال التّداولية، إذ أنَّ كلّ ملفوظ، يتأسّس على نظام شكليّ، دلاليّ، انجازي، تأثيريّ، لذلك يعدُّ نشاطا تحوّليّا، ينطلق من أفعال قوليّة تسعى إلى تحقيق أغراض انجازية (كالطّلب و الأمر، و الوعد، و الوعيد...) و تؤدّي إلى إحداث ردود أفعال من الطّرف المتلقّي (كالقبول و الرّفض).

" فالفعل الكلامي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اجتماعيًا أو مؤسّساتيّا، و من ثمّ انجازي نوعا ما"[1]

فالأَفعال الكلامية التي تتشكّل من خلال عمليّة التّواصل اللّغوي ما بين أقطاب العمليّة التّخاطبيّة، تسعى إلى إحداث تأثير على المتلقّي، من خلال قول أفعال تكون على سبيل التّأديّة لهذا الفعل المنطوق، كالأمر و النّهي...،بالإضافة إلى ذلك يعدُّ الفعل الكلاميّ، " عبارة عن آداء لفعل معيَّن كأن يكون أمرا بضرورة القيَّام بعمل معيَّن، أو وعد بانجاز عمل آخر، أو حكما لفعل معيَّن بحالة شعوريَّة تجد طريقها للتّجسيد اللّساني".[2]

كما أنّ الفعل الكلاميّ (An Act Locutoire) يتعدّد في النُّطق بملفوظ لغوي، حامل لمعنى ما ولإحالة ما، و عليه يتمثّل الفعل الكلامي في قول شيء ما، عن طريق التّصويت طبقا للنّظام الفونولوجي والتّركيبي و الدّلالي.

و يتكوّن هذا الفعل الكلامي بدوره، من ثلاثة أفعال فرعيّة هي:

– فعل صوتي أو فونيتي (Act Phonetique): و يتمثّل في نطق المتكلّم لمجموعة من الأصوات، و التي تنتمي إلى النّظام الفونولوجي للّغة التي يتكلّمها.

– فعل تأليفي (Act Phatique): صيّاغة هذه الأصوات في كلمات منسجمة مع القواعد النّحوية والمعجميّة للغة المتَكلِّم[3].

[1] علوي حافظ ابراهيم: التّداوليات علم استعمال اللّغة، عالم الكتب ، الأردن، 2011، ص 52.

[2] بوقرّة نعمان: المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النّص و تحليل الخطاب، الأردن، ط1، 2009، ص ص 89،90.

[3] بدوح حسن: المحاورة مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2012،ص 157.

– فعل دلالي (**Act Rhetique**): و هو فعل صيّاغة هذه الكلمات في عبارة حاملة لمعنى محدّد، مع ضرورة تحديد مرجع لكلّ كلمة في العبارة المتلفّظ بها"[1].

و بالرّجوع إلى مكانة هذه الأفعال عند فلاسفة اللّغة و بالخصوص " عند أوستين و تلميذه سيرل فإنّ الفعل الكلامي عندهما يعني التصرّف(أو العمل) الاجتماعي أو المؤسّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام لذلك يعدّ الفعل الكلامي"[2]:هو الانجاز الذي يؤدّيه المتكلّم بمجرّد تلفّظه بملفوظات معيّنة كأفعال الأمر و النّهي والسُّؤال و التّعزية...إلخ و هذه كلّها أفعال كلامية.[3]

و الأفعال الكلامية، من خلال هذه المعاني التي تمَّ ذكرها تقودنا إلى وضع استنتاج مفاده:

أنَّ المتكلِّمين يستعملون عبارات و جمل تكون متسلسلة و مترابطة مشكِّلة في ذلك مجموعة من الأفعال الخطابيّة تصدر هذه الأخيرة من الذَّات المتكلِّمة و المتميِّزة بميزة الإحساس و الشّعور بالأشياء المراد التَّلفظ بها، و المعزّزة بتوجيهات من أوامر العقل، و الذي يتدخَّل في عمليّة إيصال الرّموز اللّغوية – عن طريق الكلام- إلى الفضاء الخارجي، و ذلك بهدف إحداث تأثير على الذَّات المتلقِّية، و التي تصدر سلوكا معيّنا استجابة لما تمَّ التّلفّظ به من طرف المتكلِّم، و هذه الاستجابة تكون – طبعا – نابّجة عن الأفعال و التّواصل ما بين أفراد العمليّة التّخاطبيّة.

و يمكن أن نخلص من خلال ما تمَّ ذكره إلى ما يلي:

فعل لغوي : يقوم على مستويات: نحويّة، تركيبيّة، دلاليّة...

فعل نفسي : يقوم على عمليّات: تفكير، تخيّل، إحساس، شعور.

فعل اجتماعي: يقوم على عمليّات: تبادل، تفاعل، تواصل.

[1] ينظر:بدوح حسن: المحاورة مقاربة تداولية، عالم الكتب الحديث، المرجع السابق، ص 157.

[2] ينظر:صحراوي مسعود: التداولية عند علماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التّراث اللّساني العربي، دار الطليعة، ط1، لبنان، 2005.

[3] ينظر:بدّوح حسن: المحاورة مقاربة تداولية ،المرجع نفسه، ص 158.

كما يمكن أن نوجز ذلك في المعادلة اللغويّة التّالية:

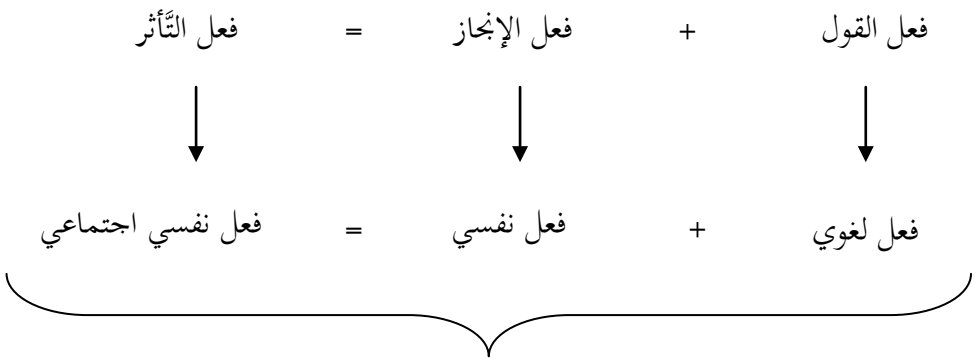

2- نظريّة الأفعال الكلاميّة بين النّشأة والتّحول .

" استمرّ فلاسفة كامبريدج في تحليلاتهم، للمشكلات الفلسفيّة من زاوية لغويّة، إلى نهاية الحرب العالمية الثّانية، بعدها انتقل مركز التّحليل إلى اكسفورد، متّخذا طورًا جديدًا ينصبّ على تحليل اللّغة الجارية بين النّاس مع كل من جلبرت رايل و جون أوستين و بيترستراوسن"[1]، و بذلك اعتبر جون أوستن أنَّ ما قدّمه الفلاسفة اتجاه اللّغة، لا يخدم اللُّغة بوجه عام، حيث وجَّه جون أوستين جُلَّ اهتمامه إلى دراسة اللّغة المتداولة، دراسة تحليليّة بعيدة عن التّخمينات الفلسفيّة و القيود الفلسفيّة المنطقيّة، التي وضعها المؤسِّسون الأوائل للفلسفة.

إنّ الحديث عن جون أوستين بالذَّات راجع إلى أنّه قام بتقديم ردود لغويّة مفحمة للفلسفة الوضعيّة و ما جاءت به، و يتجسَّد ذلك بالضّبط في محاضراته التي ألقاها بأكسفورد و كان ذلك في سنتي (1952-1954). و كذلك محاضراته بجامعة هارفارد سنة1955.[2]

وقد كانت لهذه الأعمال اللّغوية تأثير على بعض الباحثين، " فمن خلال المحاضرات التي ألقاها جون أوستين قام إرمنسون بجمع تلك المحاضرات تحت عنوان : كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟ How to do Things with Word?، و كان ذلك في سنة 1960، و كان هدف هذه الرّدود التي وجَّهها أوستين لفلاسفة اللِّغة الوضعيَّة هو إعادة الاعتبار للُّغة اليوميّة المتداولة بين أفراد المجتمع، و إقراره بعدم جعل اللّغة مجرَّد

[1] بوقرة نعمان : المصطلحات الأساسية في لسانيّات النص وتحليل الخطاب، المرجع السابق ، ص ص 89، 90.

[2] ينظر: بوقرّة نعمان : المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، المرجع نفسه، ص ص 89، 90.

وصف للأحداث و الوقائع الخارجيّة و لا بالحكم على مقولاتها، بالصّدق أو الكذب بالنّظر إلى المطابقة أو عدمها، معتبرا في ذلك أنّ ما قام به هؤلاء الفلاسفة يعدُّ مغالطة وصفيّة، مشيرا في ذلك إلى وجود كمّ هائل من العبارات و التي لا تصف العالم، و لا تقرّر حقيقته، و إنَّما تنجز فعلا و تتوقّع عملا.

فتناول أوستين للّغة من زاوية تجريبيّة قاده ذلك إلى اعتبارها شيئا متَّصلا اتِّصالا وثيقًا بالطبيعة البشرية، في جانبيها الرئيسيين هي القُّوة الإبداعيَّة، و القدرة العقليَّة، بالإضافة إلى تحكّمها في رسم بنية العالم، و لقد اعتبر أوستين اللَّغة المجال الوحيد"[1] للبحث العلمي، داعيا إلى تطويرها و تحسينها بُغْيَةَ الكشف عن أسرارها و ذلك لأنَّها تعبِّر عن حاجات الأفراد المختلفة، فبواسطة اللّغة المستعملة يتمُّ التَّواصل و تحقيق المآرب المستهدفة من قبل المتواصلين.[2]

" لذلك فإنّ أفضل طريقة لفهم الوقائع، و تيسير عمليّة الاتِّصال أكثر هو فحص اللُّغة العاديّة (المستعملة)، و زيادة الاهتمام بها في مقابل اللغة العلميّة، على اعتبار أنّه من الصّعب إدراك الواقع بغير اللغة.

لقد كان للأبحاث اللّغوية و اعتبارها بنى شكليّة، و كذلك الحركة التي اهتمّت بأنماط استعمال اللّغة فكان لكلٍّ ذلك دورا كبيرا في إعادة الاعتبار للّغة المستعملة، و عليه فاللّغة العاديّة (المستعملة) و بالنّظر لاستعمالها الواسع و اليومي تخضع للفحص و المعالجة اليومية فبواسطتها نتمكّن من ملاحظة الوقائع الحيّة لتجاربنا، كما أنّ وعينا الحادّ و العميق بالكلمات يرفع من قدرتنا على استيعاب وفهم الظواهر".[3]

وعليه فالتّداولية أخذت دورها من أعمال الفيلسوف أوستين و الذي قام بثورة فكريّة لغويّة ضدّ التّقاليد الوضعيّة المنطقيّة و التي كانت حاملة لشعار اللّغة تصلح فقط لوصف الواقع.[4]

و بهذا " فإن أوستين يدافع في مقابل ذلك عن نظرة أكثر إجرائية يصلح الكلام بموجبها، لأداء أفعال لغويّة مؤسِّسا نظريّته في الكلام و استعماله، على فحص الملفوظات:

- المثبتة
- المستندة إلى ضمير المتكلِّم في الزّمن الحاضر
- المبنيّة للمعلوم

[1] بوقرة نعمان: المصطلحات الاساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، المرجع السابق، ص 90.

[2] ينظر: أجعطيط نور الدين: تداوليات الخطاب السياسي، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن،2012، ص 67.

[3] اجعطيط نور الدين: تداوليات الخطاب السياسي ، المرجع نفسه، ص 68.

[4] اجعطيط نور الدين: تداوليات الخطاب السياسي ، المرجع نفسه ، ص ص 68 ، 69.

- الملفوظات التي لا تسعى إلى وصف شيء، و التي لا يمكن وسمها بالصِّحة أو الخطأ، و إنّما تلك التي تسعى إلى انجاز أفعال"[1]

3- أقسام الأفعال الكلامية

في كل عمليّة خطابيّة نجد أفعال خطابيّة متداولة بين المتخاطبين و هي ما أطلق عليها: فعل القول، فعل انجازي، فعل تأثيري إذ أنَّ هذه الأقسام متداخلة فيما بينها من حيث المعنى، بالإضافة إلى تعدّد هذه المعاني، ومن بين هذه الأقسام نذكر مايلي:

1. **فعل القول (Act locutoire)**:

حيث يدخل هذا النَّوع ضمن الأقسام الكلامية، و الذي يعبِّر على أنَّه: " الفعل الذي يعني النّشاط اللّغوي الصّرف، و يقصد بذلك الأصوات التي يخرجها المتكلِّم، و التي تمثِّل قولا ذا معنى، و يعرِّفه" أوستين" بأنّه نتاج جملة مزوّدة بمعنى و مرجع، و هاذان العنصران يكوّنان الدّلالة (Signification) بالمعنى التّقليدي للكلمة.

و يتشكّل هذا المعنى الأوّل لفعل الخطاب، من ثلاثة عناصر يستدعي كلّ واحد منها الأخرى بشكل تراتبي:

أ. **الفعل الصّوتي (Acte Phonetique)** :و هو النّطق بأصوات.

ب. **الفعل الوصلي (Acte Photique)**: و هو نتاج الكلمات أو التّلفّظ بها، وفق قواعد صرفيّة ونحويّة و لغويّة صحيحة و ذلك قصد إحداث إتصال

ج. **فعل إحالي (مرجعي) (Acte Rethique)**: و هو تداول كلمات بين المتكلِّمين، و تكون هذه الكلمات محمّلة بمعاني ذات خلفيّات محدّدة.

و كما أنّه نجد مصطلحات متداولة تحت هذا النّوع من الأفعال مثل:

متتاليّة صوتيّة(ناتجة عن التّلفّظ)، و وحدة معنويّة (و هي عبارة عن وحدات لغويَّة تصدر نتيجة الفعل الاتّصالي وتكون محمّلة بمعاني).

[1] ينظر: اجعطيط نور الدين: تداوليات الخطاب السياسي ، المرجع السابق، ص ص 68 ،69.

ويُلاحظ من خلال هذين الفعلين (الصّوتي و الاتّصالي)، وجود علاقة استلزامية، قد تكون ضروريّة و قد تكون غير ذلك[1].

فمن جهة كونها ضروريّة يعني أنَّ انجاز الفعل الاتّصالي لا يكون إلا من خلال الفعل الصّوتي خاصة إذا كانت هذه الأصوات ذات معاني.

أمَّا من الجهة الثّانية و هو عندما لا يمكن اعتبار الأصوات (أفعال صوتيّة) ليست من الوحدات المعنويّة.

ويضرب المؤلِّف بمثال على ذلك فيقول " فالببّغاء ينتج متتاليّة صوتيّة (فعل صوتي) و ليس وحدة معنويّة على الإطلاق، ذلك لأنّ لهذه الأخيرة معنى، فهي جملة سليمة مستمدّة من كلمات المعجم و من نحو اللّغة.

كما أنّ الفعل الاتّصالي، مثله مثل الفعل الصّوتي، فالمتكلِّم عندما ينجز فعلا اصاليّا، يدرك و يعلم بأنَّ أفعاله الاتصالية التي يستعملها محمَّلة بالمعاني تلقائيّا دون أن يتكلّف في البحث عن معانيها (أفعال لغوية).

و يؤكِّد المؤلف بمثال آخر "لريكانتي"، و الذي أخذ هو الآخر هذا المثال من كتاب Act Speech (Searl) و يقول: " أنّ أحد الجنود الأمركيين أُسِرَ من قبل جنود إيطاليين، و لا يرغب في أن يكشف جنسيَّته، فتظاهر بأنّه ألماني، و بدأ في التَّلفُّظ بجملة ألمانية كان يحفظها منذ صغره، و قد يكون قد نسي معناها تماما على أمل أن يكون آسِروه جاهلين للّغة الألمانيّة، أثناء قيّامه بترديد الجملة يقوم بانجاز فعل اتِّصالي (Acte phatique) على اعتبار أنَّه يتلفّظ متتاليّة صوتيّة ذات معنى دون أن يدري ما يقول.

" إلّا أنّه بُعيد أن يكون قد أنجز فعلا قوليًّا ،حيث أنَّه لا يكفي أن ننجز فعلا صوتيًّا، و فعلا وصليًّا لانجاز فعل القول، فانجاز فعل القول، يتوجّب على المتلفِّظ معرفة معنى جملته بصورة محدّدة، و عليه أن يرفع أيَّ غموض قد يلحق بمعنى الجملة، و هذا بتدقيق أفكاره و تحديدها.

2. فعل الكلام الانجازي :(Acte illocutoire):

بالإضافة إلى القسم الأوّل من الأفعال الكلاميّة نجد قسم آخر و هو الفعل الانجازي، و الذي يقصد به أنَّ المتكلِّم حين يتكلّم أو يتلفّظ بقول ما فهو ينجز معنى قصديّا أو تأثيريّا مقصودا و هو ما أسماه أوستين قوّة الفعل (Force de l'cte).

و قد اشترط جون أوسين لتحقيق هذا المعنى الانجازي بضرورة توفّر السّياق المعرفي المؤسّساتي لغة و محيطا و أشخاصا فعبارة مثل: سأحضر لرؤيتك غدا.

[1] ينظر: عمران قدور: البعد التّداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ص 54.

يعتمد معناها الانجازي – الوعد- على مدى تحقيق أو تحقّق شروطها، بحيث يكون المتكلّم قادرا على الإيفاء بوعده، و أن ينوي فعل ذلك، و أن يكون واثقا، أنّ المستمع يرغب في رؤيته ذلك لأنَّ انتقاء رغبة المستمع في رؤية المتكلّم قد يحيل المعنى الانجازي هنا من "وعد" و "وعيد"[1].

و قد لاحظ أوستين أنَّنا و نحن ننجز فعل القول نقوم في ذات الوقت، بانجاز تلفُّظات تعطي بعدا دلاليًّا أساسيًّا لهذا الفعل، و حتَّى يضع تعريفا له عمل على إبراز الكيفيَّات المتنوِّعة التي تستعمل و فقها الملفوظات فنحن:

- نتساءل أو نجيب.
- نقدّم معلومة أو ضمانا أو تحذيرا.
- نعلن عن قرار أو قصد.
- نتلفَّظ حكمة أو مثلا.
- نسمِّي أو ندعو أوننتقد .
- نحقِّق أو نصف.

كما نلاحظ أنَّ الصّعوبة تكمن في المعاني العديدة و المختلفة لهذه الكلمات (الملفوظات) اللّامحدودة، هذه الملفوظات قد تحيلنا على فعل القول، أو فعل الكلام التَّأثيري إنَّنا نوظّف في فعل القول الخطاب لكن وفق أيِّ طريقة تحديدا؟ حيث أنَّ الخطاب له وظائفه العديدة.

فالفعل (Acte) يكون مختلفا بحسب الطَّريقة و المعنى الذي يتقمَّصه في كل مناسبة فإذا قلنا:

- نطرح سؤالا.
- نعطي معلومة.

هذه الملفوظات تحمل معاني عديدة و مختلفة، و يتغيّر معناها بتغيّر وضعية استعمالها".

يشير المؤلِّف إلى أنَّه يوجد اختلاف واضح و بيِّن بين الأفعال الكلاميّة عند التّلفُّظ بهاو استعمالها عند عمليّة التّواصل فقد نجد ذلك في عبارات النُّصح و الأمر، و بين الوَعْدِ و النيَّة هذه الأمور أدَّت بالفيلسوف جون أوستين إلى التّمييز بين الدّلالة و السِّياق و الظّروف الخاصّة بعمليّة التَّلفّظ، أي اعتبار المعنى يكون بوضعه في السيَّاق، الذي يمارس فيه التَّبادل اللِّساني[2].

[1] ينظر: عمران قدور : البعد التّداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني، المرجع السابق، ص ص 54، 55.

[2] ينظر: عمران قدور ،البعد التّداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني: المرجع نفسه ، ص ص 56، 57.

و الأفعال الانجازية تقوم على العلاقة المتبادلة بين المتكلّم و المتلقّي، و في هذا الصَّدد يشير سيرل إلى تقسيم آخر للأفعال الكلاميَّة و التي يعبَّر عنها بالأفعال التَّقريرية (وصفيّة) و الأخرى أفعال انجازية.

و يرى سيرل في نفس الوقت أنّ كلّ قسم من قسمي الأفعال الكلاميَّة، قد تتداخل فيه دلالة العبارة الظّاهرة بدلالة العبارة المضمرة أو الخفيّة، معتبرا في ذلك أنَّ النَّوع الأول يمثّل أفعال لغويَّة مباشرة و النَّوع الثَّاني يمثّل الأفعال اللّغوية غير المباشرة.[1]

3. فعل الكلام التّأثيري (Acte perlocutoire)

من خلال القسمين السّابقين للأفعال الكلاميّة نصل إلى إنتاج آخر و هو فعل الكلام التأثيري، و الذي يعني أنَّ الكلمات التي ينتجها المتكلِّم في بنية نحويَّة منتظمة محمّلة بمقاصد معيِّنة في سياق محدّد تعمل على تبليغ رسالة و تحدث أثرا عند المتلقِّي

"فقول شيء ما يثير ردود أفعال و أحاسيس و مشاعر لدى السَّامع أو المتحدِّث أو حتَّى للحاضرين، و يمكن الحديث عن النيَّة و القصد في إحداث هذا التغيُّر، بناءا على هذا يمكننا القول بأنَّ المتحدِّث أنجز فعلا (Acte)، و الذي يبعث بطريقة غير مباشرة إلى فعل القول والفعل الانجازي و يسمّى هذا الفعل بفعل الكلام التأثيري.

و خلاصة القول أنّ نظريّة الأفعال الكلاميّة، يمكن اعتبارها من بين أهمِّ النَّظريات التي اهتمّت بها اللِّسانيات التَّداوليَّة، حيث أصبحت كمفهوم من مفاهيم اللِّسانيات التَّداوليّة، و لديها مواضيعها الخاصَّة بها وأقسامها الخاصّة كذلك ،و عليه فهذه النَّظرية ظهرت بعد مخاض عسير، و بدأت تتشكّل و تتبلور بعد تخاصم تيارات فلسفيَّة، إلى أن جاء كلّ من أوستين و سيرل و قاما بإعادة بوصلة الصِّراع و الاهتمام إلى نظرية الأفعال الكلاميّة، فكان لها أن تطوّرت و ازدهرت، و لاح بريقها في الأفق بين أحضان جميع لغات العالم.

و سنتطرّق فيما يأتي إلى تطوّر هذه النّظرية عند الغرب و العرب.

[1] ينظر: نواري مسعودي أبو زيد، فنّ تداولية الخطاب الأدبي ، بيت الحكمة، سطيف (الجزائر)، ط1،2009، ص 88.

توطئة:

إنّ الشّائع بين الفلاسفة واللّغويّين هو أنّ للّغة وظيفة أساسيّة تتمثّل في نقل المعلومات والمعارف بين جميع أفراد العمليّة التّخطابيّة، لذلك تعتبر اللّغة مجرّد وسيلة لنقل هذه المعلومات بين الأفراد، كما أنّها تقوم بتمثيل الواقع أو الذّهن، ونتيجة لذلك قام الفلاسفة التّحليلين بإعادة الاعتبار للّغة المستعملة والعمل على ضبطها وفحصها بطرق علميّة تساعد على تحسين التّواصل اللّغوي إذ نجد كلّ من أوستين و سيرل واللّذين اعتبرا أنّ دراسة اللّغة المستعملة هي من أهمّ الأعمال التي يجب أن تؤخد بعين الاعتبار وهذا ما تجسّد في نظريّة الأفعال الكلامية والتي تطوّرت بفضل كلّ منهما (أوستين و سيرل)، ومن خلالهما تمكّنت هذه النّظرية من التّطوّر أكثر وزاد الاهتمام بها من قبل جميع اللّغويّين، على اختلاف مذاهبهم وبيئاتهم حيث أصبح هناك توجّه آخر لدراسة اللّغة المستعملة وانطلاقا ممّا تمليه هذه النظرية.

ونتيجة التّطوّر الذي عرفته هذه النّظريّة مكّن ذلك من فتح المجال أكثر لزيّادة الاهتمام باللّغة المستعملة كما أنّ بعض المفاهيم وكذلك تصنيفات قدِّمت من طرف روّادها عملت على كشف خبايا وأسرار اللّغة المستعملة وبالإضافة إلى كلّ ذلك أنّ هذه النّظريّة لم تكن حبيسة بيئة المنشأ فقط ،وإنّما امتدّت بظلال جذورها إلى بيئات أخرى.

وعليه سيتمّ التطرّق إلى تطوّر أو تتبّع التّطوّر الذي عرفته هذه النّظرية بدءا من مؤسِّسيْها إلى بعض اللِّسانيِّين العرب.

الأفعال الكلاميّة عند الغرب:

يعود ميلاد الأفعال الكلامية إلى علماء الغرب، ومن أكبر روّادها هما (أوستين وسيرل)، إذ يعتبران من بين أهمّ مؤسِّسي هذه النّظريّة، حيث أصبحت من بين أهمِّ النّظريّات في ميدان اللِّسانيّات التّداوليّة.

كذلك سنحاول أن نقف على كلِّ ما قدّمه (أوستين و سورل) حول هذه النّظريّة.

1. الأفعال الكلاميّة عند (أوستين):

من مواليد سنة 1911، حيث يعتبر واضع نظرية أفعال الكلام، كما كان فيلسوف لغة بريطانيا، يعتبر أوستين من بين الفلاسفة الإنجليزيّين والذي ينتمي إلى الفلسفة التحليليّة، لكن هذه الأخيرة كانت مخالفة لما ترتكز عليه الفلسفة المنطقيّة وخاصّة في مجال اللّغة، حيث أنّ الفلسفة التحليليّة تهدف إلى دراسة اللّغة المستعملة والمتداولة وهذا ما كان يسعى إليه أوستين، وقد تجلّى ذلك في الرّدود التي قدّمها لأصحاب الفلسفة المنطقيّة، ومن خلال كلِّ الجهود والأعمال التي قدّمها من أجل إعادة الاهتمام باللّغة المستعملة توصّل أوستين إلى إقتراح قسما ثانيّا من العبارات مجانبا للعبارات الوصفيّة وجعل هذه الأخيرة داخل العبارات التي توصّل إليها أوستين وهي العبارات الانجازية والتي لا يحكمها مقياس الصِّدق والكذب، ويتزامن النّطق بها مع تحقّق مدلولها على اعتبار أنّ اللّغة كما يرى أوستين لا تعبِّر عن مكنونات النّفس فقط ولا تهدف إلى ايصال المعلومات للآخرين فقط، فهو ينطلق إذا من فكرة أنّ كلّ الأقوال لايمكن إرجاعها إلى الخطأ والصّواب وهو بذلك يؤكِّد على أنّ كل ما نتلفّظ به يعدّ انجازا لغويّا داخل شبكة من العلاقات الاجتماعية، على إعتبار أنّ الفعل اللّغوي يعدّ كذلك من الفعل الاجتماعي على حدِّ تعبير أوستين، توفي سنة 1960.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ للعبارات الانجازية شروطا لتتحقّق وهي:

- أن يكون الفعل فيهما منتميّا إلى مجموعة الأفعال الانجازية مثل (وعد، سأل، قال، حذّر، وعد...).
- أن يكون الفاعل هو نفسه المتكلّم أي أنّها تمثِّل الفرديّة ممّن يقولها مثل قولنا :خرجت من المنزل.
- أن يكون زمن دلالتها المضارع مثل قولنا :أتذهب إلى الجامعة[1]

[1] ينظر: خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم ،بيت الحكمة ،جامعة سطيف (الجزائر) 2012، ص 77.

وهذه الشّروط كما يلاحظ تجمع بين المستويين النّحوي والمعجمي وغياب شرط واحد كفيل بتحويلها إلى عبارة وصفيّة ويتميّز الفعل الانجازي عن الوصفي (الإخباري) بكونه عاكسا للآثار التي ينجزها كلامنا وهو فعل دقيق للغاية.

"وقد نبّه أوسين في أواسط القرن إلى أنّ تحليل المناطقة الوضعيّين تحليل خاطئ إذ ثمّة فئة من العبارات اللّغويّة تحمل دلالة معيّنة بالرّغم من أنّها لا تحمل الصّدق أو الكذب، وعلى أساس ذلك يقترح أوستين التّعبير عن الصّنفين من العبارات (أو الجمل):العبارات الوصفيّة و العبارات الانجازية[1] كما أشار إلى أنّه يمكن تقدير فعل وفق الشّروط المذكورة سابقا، في العبارات الوصفيّة نحو (أقول) الجوّ جميل لتصبح انجازية هي الأخرى.

وعليه فكل العبارات الملفوظيّة انجازية على نوعين:

1. انجازية صريحة مباشرة فعلها ظاهر (أمر، حضّ، دعاء، نهى) بصيغة الزّمن الحاضر المنسوب إلى المتكلّم.
2. انجازية ضمنيّة/ غير مباشرة: فعلها غير ظاهر نحو الاجتهاد مفيد أقول، الاجتهاد مفيد أي آمرك أن تجتهد.

وقوله تعالى ﴿ ومَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد:20] (أقول): احدروا.....

وميّز أوسين بين ثلاثة أنواع من الأفعال الكلاميّة:

أ. فعول قولي locutoire: يقابل التّلفّظ بالأصوات (فعل صوتي)، والتّلفّظ بالتّركيب (فعل تركيبي) واستعمال حسب دلالتها (فعل دلالي) ،أي أنّ فعل القول هو كلّ ما يتمّ التّلفّظ به من جمل وعبارات مثل: أتذهب إلى الجامعة .

ب. فعل انجازي (القول الفاعل) illocutiore: يحصل بالتّعبير عن قصد المتكلّم ومن أدائه :يعد، يخبر ينذر، ويشمل الجانب التّبليغي والجانب التّطبيقي،هو الفعل الذي يفهم من معنى كلام المتكلّم.

ج. فعل تأثيري (استلزامي) perlocutiore : يحصل حين يغيّر الفعل الانجازي من حال المتلقّي بالتّأثير عليه كأن يرعبه، يجعله ينفعل، ويتميّز كلّ فعل من هذه الأفعال بتوفّره على قوّة انجازية وهي تفترض تزامنا تامّا بين موضوع الملفوظيّة والمتلفّظ، أي أنّ الفعل الكلامي يترك أثارا على المستمع.

واستنادا إلى مفهوم القوّة الانجازية ميّز (أوستين) بين خمسة أنواع للأفعال الكلاميّة:

1. الأفعال الحكميّة (الاقرارية):verdictifs: حكم، وعد، وصف. [2]

[1] آيت أوشان على: اللّسانيّات والبيداغوجيا نموذج النّحو الوظيفي الأسس المعرفية و الديداكتيكية، دار العاقة للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص (135،134).

[2] ينظر: خليفة بوجادي: في اللّسانيّات التداولية مع محاولة تأصيلة في الدرس العربي القديم ،مرجع سابق، ص ص 77 ،78.

2. أفعال تمرّسيّة excertifs : إصدار قرار لصالح أو ضدّ:أمر، قاد...

3. أفعال التّكلّف (الوعديّة) comessifs : تلزم المتكلِّم: وعد، تمنّى، التزم يعقد، أقسم،...

4. أفعال عرضيّة تعبيريّة expositifs: عرض مفاهيم منفصلة، (أكّد، أنكر، أجاب، وهب....)

5. أفعال السّلوكيّات (الإخباريّات) comportementenx: ردود أفعال تعبيرات تجاه السّلوك: اعتذر هنّأ، حيّ، رحّب.

وتتّضح أشكال الفعل الانجازي خصوصا في التّرسيمة التّالية:

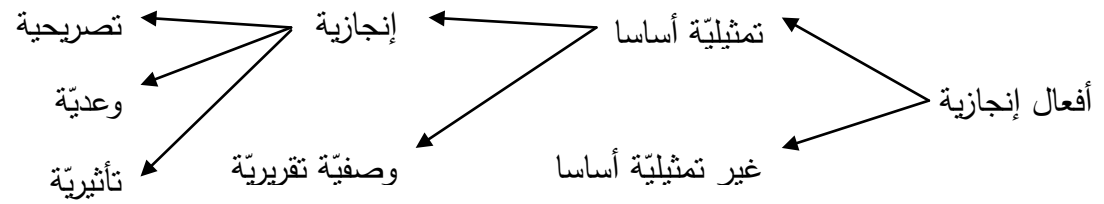

كما وقد أكّد أوستين على أنّ الكثير من الجمل الأمريّة، أو الإستفهاميّة أو التعجبيّة لا تسعى إلى وصف الواقع بقدر ما تسعى إلى تغييره إنطلاقا ممّا يتمّ التّلفظ به، ويضرب أوستين أمثلة على ذلك مثل : آمرك بالصّمت فهو في هذا المثال يشير إلى أنّ المتكلّم يسعى من خلال فعل الأمر الذي أصدره إلى إحداث تغيير للواقع، أي الإنتقال من حال الضّجيج إلى حال الصّمت والهدوء،إذا فالمتكلِّم عندما يصدر أمرا فهو يطلب من المستمع بأن يأتي فعلا محمودا أو ينتهي عن إتيان فعل مذموم ، وكذلك المثال الآخر هو: (أعدك بأن آتي غدا) فهو فعل الوعد، وهو التزام المتكلِّم بنوع من السّلوك الأخلاقي اتجاه مخاطبه ،فالواعد يلزم نفسه بتنفيذ الكلام الذي قاله لمخاطبه مثل :قول المتكلِّم للخاطب سأزورك غدا.

بالإضافة إلى ذلك أشار أوستين إلى وجود مفارقة بين الجمل الوصفيّة، والجمل الإنشائيّة، حيث يؤكِّد على أنّ الجمل الإنشائيّة تتفرّد بعدد معيّن من الخصائص لا توجد في الجمل الوصفيّة، ومن ذلك أنّها تستند إلى ضمير المتكلِّم في زمن الحال وتتضمّن فعلا من قبيل " أمر" و"وعد" و "أقسم"، و" عمد" ويفيد معناه على وجه الدِّقّة انجاز عمل وسمّى هذه الأفعال بالأفعال الإنشائيّة ليس متعذِّرا، وإنّما يتمّ الحكم عليها بمعيار الإخفاق أو التوفيق لا معيار الصِّدق أو الكذب. [1]

[1] ينظر:خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم ، المرجع السابق، ص ص79 ،80.

وهذا وقد أشار أوستين إلى أنّ المقابلة بين الجمل الوصفيّة والجمل الإنشائيّة ليست بالبساطة التي ظنّها في البداية "(فبعض الجمل الإنشائيّة على سبيل المثال ليست مستندة إلى ضمير المتكلِّم في زمن الحال ولا تتضمّن فعلا إنشائيّا مثل المزايدات أثناء لعبة البريدج أو الجمل من قبيل " رفعت الجلسة".[1]

كما أنّ أوستين يقرّ بأنّ كلّ جملة تامّة مستعملة تقابل انجاز عمل لغوي واحد على الأقلّ، ويميِّز بين ثلاثة أقسام من الأفعال اللغوية.

فعل قولي، ويتحقّق بمجرّد التّلفظ بشيء ما وفعل يتضمّن في القول وهو الذي يصدر في قولنا شيء ما والفعل الآخر هو التّأثيري والذي يحدث نتيجة لما تمّ قوله.

وتوصّل أوستين إلى مفهوم العمل المتضمّن في القول بعد التّخلّي عن فكرة التّمييز بين الجمل الإنشائيّة والجمل الوصفيّة، ويقول أوستين أنّه مجرّد التّلفّظ بجمل معيّنة على نحو جادّ يوافق على الأقلّ انجاز عمل قولي وعمل متضمّن في القول ويوافق كذلك وأحيانا القيام بعمل تأثيري بالقول.[2]

الأفعال الكلامية عند سيرل: ولد سيرل سنة 1932 في دنفر بولاية كولورادو، درس الفلسفة في أوكسفورد، وفي سنة 1959 صار أستاذ لفلسفة اللغة بجلمعة بيركلي، يعدّ سيرل من بين أهمِّ روّاد الفلسفة التّحليليّة، والتي ظهرت كردٍّ فعل لفلسفة المناطقة القدامى ،كما أنّ سيرل ساند أوستين في أفكار وخالفه في أفكار أخرى ففي نظريّة الأفعال الكلاميّة ،كانت هناك اختلافات حيث أنّ سيرل كانت تحليلاته أكثر دقّة وأكثر عمقا من تحليلات أوستين ويكمن جوهر الاختلاف بالضّبط في أنّ سيرل قسّم فعل القول إلى قسمين :فعل نطقي والذي يشمل بدوره على :جوانب صوتيّة وأخرى معجميّة أمّا القسم الآخر و هو الفعل القضوي وشمل بدوره على: المرجع ، و المتحدِّث به (الخبر) ،كما أكّد على أنّ الفعل القضوي مرتبط دائما بالفعل الانجازي واعتبر الفعل الانجازي وحدة صوتيّة صغرى في عمليّة التّواصل اللّغوي ،ويمكن تقديم أمثلة على هذه الأفعال :أ-يكتب الأستاذ الدّرس ب-أيكتب الأستاذ الدّرس[3].

---

[1] آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر (دغفوس بن الدين، الشامي محمد) دار الطباعة للنشر ، لبنان، ط1، ص ص 30-32.

[2] ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، المرجع نفسه ، ص ص 30-32.

[3] ينظر : مدور محمد: الافعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة)، دراسة تداولية ، أطوحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم اللسان العربي، جامعة باتنة، الجزائر، 2013- 2014، ص ص 46 ،47.

ج-يا أستاذ أكتب الدّرس د-لو يكتب الأستاذ الدّرس .

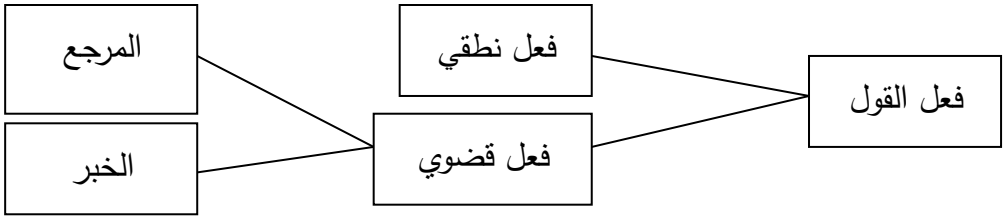

وبمجرّد التلفّظ بهذه الجمل يعدّ المتكلّم منجزا لأفعال كلاميّة وهي :

-فعل القول وهو الذي يتكوّن من فعل نطقي وفعل قضوي فالفعل النّطقي كما تمّ الإشارة إليه هو الذي يشمل على نسق نحوي و آخر معجمي فالفعل القضوي يتمثّل في المرجع والخبر وهما معا يمثّلان قضيّة وهي في الأمثلة تتمثّل في كتابة الأستاذ الدّرس ويمكن توضيح ذلك في الشكل التالي:

ونجد فعل متضمّن في القول: وهو الفعل الانجازي يحمل قصد النّاطق به وهو الإخبار في الأولى والاستفهام في الثّانية والأمر في الثّالثة والتّمنّي في الرّابعة.

كما نجد فعل تأثيري: هو الفعل النّاتج عن القول أو حدوث أثر في الواقع من طرف المتلقّي من تغيير سلوكه

وهذا الفعل ليس له أهميّة عند سيرل، ويدلّ على القوّة الانجازية دليل يسمّى دليل القوّة الانجازية وهو في الانجليزية: نبر، تنغيم، وترقيم أونظام جملة، أوصيغة الفعل...)

كما أنّ سيرل يرى أنّ الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلّم، بل هو مرتبط بالعرف اللّغوي والاجتماعي، فقصد المتكلّم وحده لا يكفى، بل لابدّ من العرف اللّغوي.

بالاضافة إلى ذلك استطاع سيرل أن يطوّر تصوّر أوستين لشروط الملائمة و جعلها أربعة شروط، وطبّقها تطبيقا محكما على أنماط من الأفعال الانجازية فطبّقها على أفعال الرّجاء، والإخبار، والاستفهام، والشّكر، والنّصح والتّحذير والتّحية والتّهنئة[1].

[1] ينظر : مدور محمد: الافعال الكلامية في القرآن الكريم ، المرجع السابق ،ص ص 46 ،47.

الشروط الملاءمة:

1. شرط المحتوى القضوي: فعل في المستقبل مطلوب من المخاطب.

2. الشّرط التّمهيدي: المخاطب قادر على انجاز الفعل والمتكلِّم على يقين من قدرة المخاطب على انجاز الفعل والمتكلِّم على يقين من قدرة المخاطب على انجاز الفعل.

3.شرط الإخلاص: فالمتكلِّم يهدف من وراء كلامه إلى تحقيق انجاز للفعل الكلامي الذي تكلّمه من طرف المخاطب (المستمع).

4-الشّرط الأساسي: محاولة المتكلِّم إحداث تأثير على المخاطب (المستمع) ليتمّ انجاز الفعل ولم يكتف سيرل بماسبق بل قال أنّ هناك اثنا عشر بعدا يختلف بها كلّ فعل انجازي عن الآخر ويمكن إيجازها كمايلي :

-الإختلاف في الغرض الانجازي للفعل :فالغرض الانجازي لفعل الأمر هو محاولة التّأثير في السّامع ليقوم بفعل ما،على حين أنّ الغرض الانجازي من فعل الوعد هو التزام المتكلِّم بما يقوله مع المستمع أو تنفيذ وعده ،أمّا الغرض المتضمِّن في القول يعتبر عنصر من عناصر القوّة المتضمِّنة في القول ،فالغرض الانجازي من الرّجاء مثلا هو نفسه الغرض الانجازي للأمر لكنّ القوّة الانجازية في كلّ منهما تختلف ، ذلك يعني أنّ القوّة الانجازية نتاج لعناصر عديدة وليس الغرض الانجازي إلّا واحدا منها .

-الاختلاف في الموقف النّفسي :فالذي يصدره المتكلِّم من كلام قد يختلف حسب سيِّاقه اللّغوي وحتّى سياقات أخرى فقد يصدر المتكلِّم وعدا فهو بذلك يعبِّر عن مقصديّة الانجاز والذي يأمر أو يطلب أو يرجو كلّ ذلك تعبير عن رغبة في أن ينجز السّامع الفعل الذي يريده المتكلِّم كما أنّه كلّما أدّى المرء فعلا متضمِّنا في القول مشتملا على فعل قضوي فإنّه يعبِّر بذلك على حالة نفسيّة تجاه ذلك المحتوى القضوي فمثلا من يقرِّر فهو يبرِّر بذلك عن إعتقاد .

يلفت سيرل وفاندرفيكن إلى الاشكالية التي تنْشأ عن أداء فعل ونفي تحقيق شرط الصّراحة ومثال ذلك :أعدك بالحضور لكنّني غير ناو له أو أعذرني لكنّني غير آسف كما لاحظا أنّ المتكلِّم قد يعبِّر عن حالة نفسيّة لا ينطوي عليها وهذا هو التّمييز بين الفعل الكلامي الصّريح وغير صريح فالحالة الأولى يعبِّر فيها المتكِلِّم عن نفسه[1] رغم عدم انطوائه عليها واقعيّا فالإخبار غير الصّريح (الكذب)هو الذي لايعتقد قائله بمضمونه والفعل الكلامي

[1] ينظر : مدور محمد: الافعال الكلامية في القرآن الكريم ، المرجع السابق ،ص ص 46 ،47.

غير الصّريح فاسد لكنّه غير باطل .

– الاختلاف أو الدّرجة :حيث أنّ الغرض الانجازي لكل قول تتفاوت درجات شدّته فمثلا : أنا أطلب منك أن تعمل فهو مسعى أقلّ شدّة من :أنا أصرّ عليك أن تعمل إذا فهناك اختلاف في درجات الشدّة.

–الاختلاف في كلّ من منزلة المتكلّم والسّامع (نمط الانجاز) :بعض الأفعال المتضمّنة في القول تتطلّب مجموعة من الظّروف فبوجودها تتحقّق الأغراض مثلا المتكلّم في مكان رسمي يكون كلامه غير كلام المتكلّم العادي فكلام الرّئيس ليس ككلام المرؤوس أو الضّابط والجندي ففي الفئة الأولى الكلام يكون أمر أمّا الفئة الثّانية فالكلام يكون التماسا أو رجاءا أو اقتراح .

–الاختلاف في طريقة ارتباط القول باهتمامات المتكلّم والسّامع :كالاختلاف بين المدح والرّثاء أو التّهنئة وهو نمط آخر من أنماط الشّرط التّمهيدي [1]

هذا و يشير سيرل في كتابه العقل و اللّغة و المجتمع إلى قضيّة الأفعال الكلاميّة و تحت عنوان الأفعال التمريرية و الأفعال التأثيرية بقوله : حينما أنفث واحدة من تلك النّفثات السّمعية في موقف كلامي اسنادي فيمكن القول أنّني أؤدّي فعلا كلاميّا ،فسيرل في هذه العبارة بيّن أنّ العمليّة الفيزيائيّة للتّلفظ تحدث من وراء ذلك معنى و دلالة لهذا التّلفظ و بالتّالي ينتج تأثير فكلّ ذلك يدخل ضمن ما يسمّى بالفعل الكلامي و قد أشار سيرل إلى أنّ الأفعال الكلامية تقع في عدّة أنواع فبواسطة هذه النّفثات على حدّ قوله أصدر حكما أو أسأل سؤالا أو أصدر أمرا أو أطلب أو أفسّر مشكلة علميّة أو التّنبؤ بحدث في المستقبل.

و يلاحظ سيرل أنّ الأفعال التمريريّة التي هي من مفاهيم أوستين إعتبرها سيرل أصغر وحدة مكمّلة في أفعال الاتّصال اللّغوي الانساني ، ويقول أنّه عندما نكتب لبعضنا أو نتكلّم مع بعضنا فإنّنا نؤدّي أفعالا تكرّريّة.

كما قد ميّز سيرل بين الأفعال التّمريريّة والنّتائج المترتّبة أو الآثار التي يمكن أن تسفر عنها الأفعال التّمريريّة في المستمعين، ويضرب سيرل لذلك أمثلة حيث يقول[2] (ومن خلال أمري لك بأن تفعل شيئا أدفعك إلى أن تقوم به ، ومن خلال المجادلة قد أتمكّن من حثّك وحتّى أصدر حكما قد أقنعك إلى أن تقوم به، ومن خلال رواية قصّة قد أذهلك ومن هذه الأمثلة يبيّن سيرل أثر الأفعال التّمريريّة على المجتمع كالحدث أو الإقناع أو التّوقّع كما يقوم

[1] ينظر : مدور محمد: الافعال الكلامية في القرآن الكريم ، المرجع السابق ،ص 47.

[2] سيرل جون: العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي، تر: (سعيد الغامدي)، منشورات الاختلاف، ط1، ص 201.

به شخص ما، لذلك فسيرل يختلف في هذه النّقطة عن أوستين والذي كان يعتبر الأفعال التّمريريّة هي أفعال للتّأثير كذلك.

أمّا سيرل فاعتبر أنّ الأفعال التّمريريّة هي الهدف الحقيقي من التّحليل والفعل التّأثيري له علاقة بالنّتائج الأخرى والنّتائج المترتّبة على أفعالنا، سواء كانت أفعال تمريرية أو غيرها، ويبيّن سيرل أنّ الأفعال التّمريريّة يجب أن تؤدّى قصديّا إذا لم يقصد أن يعطي وعدا أو يصدر حكما أو وعدا على حدّ تعبير سيرل غير أنّ الأفعال التّأثيريّة لا يجب أن تؤدّى قصديّا بالضّرورة، وتكون الأفعال التّمريريّة هي قصديّة في الجوهر بينما الأفعال التّأثيريّة قد تكون وقد لاتكون قصديّة وهي نتيجة مترتّبة على كون الفعل التّمريري هو وحدة المعنى في الاتّصال.

ويقول سيرل أنّ المتكلّم عندما يعني شيء وهو يريد أن يوصله للمستمع فإن أفلح في توصيل ذلك وفهم من كلامه فهنا قد أدّى فعلا تمريريّا، ويضرب سيرل لذلك أمثلة على النّحو التالي :

- لتترك الغرفة رجاء؟

- هل ستترك الغرفة رجاء؟

يبيّن سيرل أنّ هذه المنطوقات تدلّ على قضيّة معيّنة والمعنى الجامع بين هذه الجمل هو ترك الغرفة، لكن هذه المنطوقات مختلفة فيما بينها فالأولى طلبيّة والثّانية سؤاليّة، والثالثة توقّعية.

فسيرل يؤكّد على أنّه يجب التّمييز بين محتوى الفعل التّمريري والقوّة التّأثيرية التي يمتلكها، أو النّمط الذي يكون عليه الفعل التّأثيري، ولقد مثّل سيرل بنفسه الأفعال التّمريرية بوصفها ق (خ) ، حيث تمثل (ق) القوّة التمريريّة و (خ) المحتوى الخبري، ويقول أنّه يتمّ عزل جزء الفعل الكلامي الذي يشكّل محتواه الخبري. [1]

2- الأفعال الكلاميّة عند العرب:

لقد كان لنظريّة الأفعال الكلامية أثر بالغ في الدّراسات اللّغوية العربيّة وهذا مايتجلّى عند الباحثين العرب المحدثين ومنهم أحمد المتوكّل وصابر الحبّاشة ، ومسعود صحراوي وغيرهم، لذلك سنتطرّق للأعمال المقدّمة من طرف كلّ من أحمد المتوكّل وصابر الحبّاشة ومسعود صحراوي.

[1] بنظر :سيرل جون، العقل واللغة والمجتمع والفلسفة في العالم الواقعي، المرجع السابق، ص 203.

أ– الأفعال الكلامية عند أحمد المتوكل :

ولد أحمد المتوكل في الرباط سنة 1942، درس في ثانوية مولاي يوسف بالرباط حيث حصل على البكالوريا، حصل على الإجازة في الأدب واللغة الفرنسيين، ورسالة دكتوراه في اللسانيات، ويعتبر من بين اللّسانيّين العرب الذين كانت لهم مساهمات جدّ معتبرة اتجاه هذه النظرية، ولعلّ أهمّ عمل قدّمه أحمد المتوكّل بخصوص هذا المجال وهو كتاب والذي يعتبر أطروحة نال بواسطتها شهادة الدّكتوراه بجامعة محمد الخامس.

reflexion sur le théorie de la signification dans la ponsée linguistique arabe

فالمتوكل من أعماله اللغوية سعى إلى إعادة النّظر في التّراث العربي وذلك من خلال هدفين اثنين هما: استصفاء نظريّة المعنى عند العرب بهدف إحياء التّراث العربي ثمّ وضع الأسس المنهجيّة التي تسمح بذلك وكان يطمح من وراء جهوده اللّغوية إلى وضع نحو بمفهومه العام والشّامل مستعينا في ذلك على النّظريّات اللّغوية والسّيميائية المعروفة، ومثال ذلك النّظريّة التّوليديّة والنّظرية الوظيفيّة الشّاملة ،ففي نظريّة الأفعال الكلاميّة أشار إلى أنّ العرب القدامى ميّزوا بين الخبر والإنشاء ومن خلال ذلك ظهر اتجاهين اثنين في الدّراسة هما:

– الاتجاه النّحوي: هذا الاتجاه يرى أنّ الكلام كلّه خبر ،كاعتبارهم النّداء خبر كما نظروا في عبارات الاستفهام والأمر على أنّها أشكال ومنه فصلها عن وظائفها التّداوليّة .

– الاتجاه البلاغي: يقسّم الكلام إلى أفعال كلاميّة مباشرة وغير مباشرة وتظهر معالم هذا التّوجّه في كتب البلاغة ،كما يذهب إلى أنّ القدامى ذهبوا مذهبيْن في تصنيفهم للأفعال الكلاميّة غير المباشرة وهي : مذهب نحوي يمثّله النّحّاة ومذهب دلالي وتداولي يستند إلى أغراض المتكلّم ويمثّله أصحاب البلاغة ،إهتمّ العرب بهذه الظّاهرة واعتبروها فروعا ويعتبر ذلك تقدّما لا مثيل له في الدّراسات اللّغويّة الأسلوبيّة لذلك يعدّ السكّاكي من الذين حاولوا التّقعيد لهذه الظّاهرة عن طريق فهم الآليّات التي تتحكّم في تحقيقها .[1]

كما نجد أنّ أحمد المتوكل تحدّث في كتابه الخطاب و خصائص اللغة العربية عن القوّة الانجازية الأصل والقوة الانجازية المستلزمة ، حيث يقول أشرنا إلى أنّ البلاغيين العرب القدامى ، قد أقاموا تصنيفا للأغراض التي

[1] ينظر: غضباني وهيبة : تداولية الافعال الكلامية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في علوم اللسان،الجزائر،2014 ، ص ص61-62.

تعبِّر عنها العبارات اللغوية قوبِل فيه بين الأغراض الأصول و الأغراض المتولِّدة مقاميّا عن هذه الأغراض الأصول ومن أمثلة ماقدّمه السّكاكي المثال التالي :

أتفعل هذا ؟

امتنع توجه الاستفهام إلى الفعل الأذى لعلمك بحالة و توجّه إلى ما لا تعلم ممّا يلابسه نحو:

استحسن؟

وولّد الانكار و الزّجر و كما إذا قلت لمن بعثت إلى مهمّ و أنت تراه عندك:

أمَا ذهبت بعد ؟

امتنع الذّهاب عن توجه الاستفهام إليه لكونه معلوم الحال و استدعى شيئا مجهول الحال ممّا يلابس الذّهاب مثل أمَا تيسّر لك الذّهاب ؟

و تولّد منه الاستبطاء و التّحضيض.

ويقول المتوكل أنّ هذه الأمثلة التي تمّ ذكرها يقترح السكّاكي تحليلا يقوم على مفاهيم أربعة هي : الأصل و المقام و إجراء الأصل و الملابسة.[1]

و بيّن المتوكل أنّ السكّاكي يقسِّم الكلام كما هو معلوم إلى خبر و طلب و يعدّ أصولا لطلب الاستفهام و النّداء و الأمر و النّهي و التّمني و أنّ لهذه الأغراض الطّلبيّة شروط إجراء ، فإجراء الاستفهام على الأصل يقتضي طلب العلم مما ليس معلوما ممكن العلم به .[2]

ويشير المتوكل إلى أنّ اللّسانيّات الحديثة افترضت نظريّات لسانيّة ذات توجّه تداولي (أو وظيفي) ثنائي الفعل اللغوي مباشرا و غير مباشر وهذا ما نجده في نظريّة الأفعال اللّغويّة و تبنّتها في إطار ثلاثيّة تميّز بين مفاهيم هي النّمط الجمليّ و القوّة الانجازية الأصليّة و القوّة الانجازية المستلزمة.

[1] ينظر : المتوكل أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، دارالأمان،الرباط (المغرب) ،2010،ط1،ص (49-50)

[2] ينظر : المتوكل أحمد: الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ، المرجع نفسه،ص ص50-51.

و قد بيّن المتوكل أن النّمط الجمليّ يقصد به الصِّنف الذي تنتمي إلية الجملة صرفيا و تركيبيا و تنغيميا ، و أشار إلى أنّ الجمل أربعة أصناف خبريّة و استفهاميّة و أمريّة و تعجبيّة.

كما بيّن المتوكل أنّ القوّة الانجازية الأصليّة هي التي يقصد بها القوّة الانجازية التي تطابق النّمط الجملي كالإخبار والسّؤال والأمر، أمّا القوة الانجازية المستلزمة فيقصد بها القوة الانجازية غير مطابقة للنّمط الجملي و النّاتجة عن نوعين مختلفين من الاستلزام ، استلزام مقالي و استلزام مقامي.

و اعتبر المتوكل أنّ القوة الانجازية مستلزمة مقاليّا القوة الانجازية التي تنعكس بشكل من الأشكال في خصائص الجملة المعجميّة او الصّرفية التّركيبيّة أو التّنغيميّة في حين اعتبر أنّ القوّة الانجازية المستلزمة مقاميّا هي القوّة الانجازية المتولِّدة عن المقام دون أن تدلّ على وجود قرينة صوريّة داخل الجملة.

وقد عرض المتوكل لذلك بمجوعة من الأمثلة على النحو التالي:

(6)أ-أَتَزَوّجْتَ هِنْدا؟

ب-أوَ تزوّجْتَ هِنْدا؟

(7)أ-هلْ زارَكَ أحْمد؟

ب-هلْ زَارك مِنْ أحد؟

(8)أ-أَ لمْ أُعْطِكَ كُلّ مَا تَبْتَغِيه؟

ب-قَدْ أَعْطَيْتُكَ كُلّ مَا تَبْتَغيه؟

(9)ا-الحرّ شَدِيْدٌ خَانِق في هذه الحُجرة؟

ب-افْتَحِ النَّافِذَة مِنْ فَضِلِك؟

فبالنّسبة للجملتين (6أ)و (7أ) جملتان تحملان قوة انجازية أصلا واحدا هي قوة لانجازية السّؤال في حين الجملتان (6ب) و (7ب) قوة انجازية مستلزمة استلزاما مقاليّا تؤشِّر إليها الصّرفتان (أوَ)و (مِنْ)باعتبار أنّها انكار

في الجملة الأولى وايصال في الجملة الثّانية و تواكب الجملة (9أ) باعتبارها مرادفة للجملة (9ب) القوّة الانجازية الالتماس و هي قوة انجازية مستلزمة يتكفّل بتوليدها المقام وحده[1].

فليس الاستلزام المقامي محصورا على الجمل التي من قبيل (9أ) إذ يمكن أن يرد في جمل مثل الجملة (10أ) الملتبسة انجازيا بين السّؤال المحض و الدّعوة:

(10أ) هل تأتي معي إلى المقهى ؟

ب-تعالي معي إلى المقهى

أمّا الجمل من قبل (8أ) فهي تحمل قوّة انجازية واحدة هي القوة الانجازية المستلزمة الخبر التي عجزت وأصبحت قوة أصلا ظاهرة التحجر الانجازي هذه الخصائص التّركيبيّة الإستفهاميّة المنفيّة بوجه عام تمّ تبيينها في مكان أخر.و و يوضح المتوكل ذلك في خطاطة أو شجر على النّحو التّالي[2]:

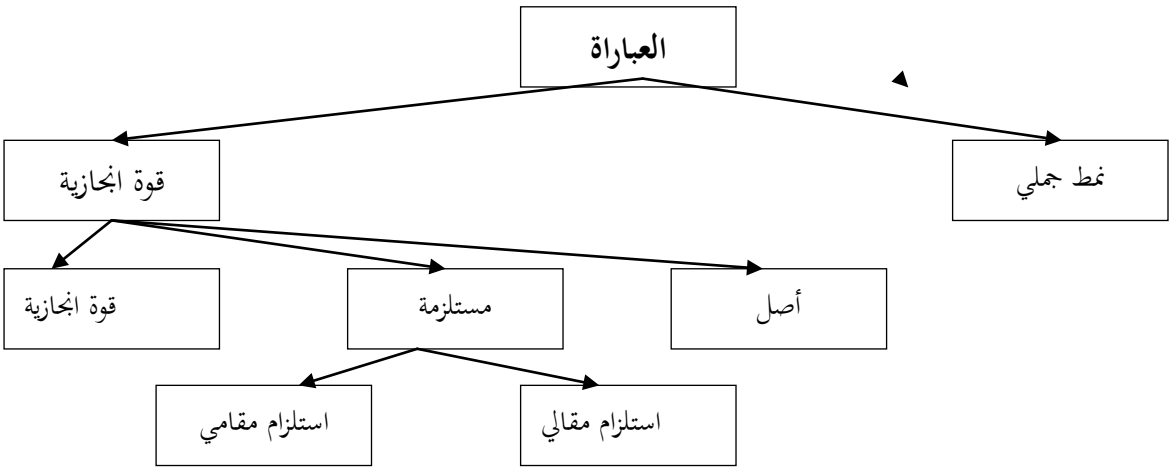

كما و قد قام المتوكل بالتّمثيل للقوة الانجازية حيث قال : حين يميّزُ داخل نظرية لسانية ما بين القوة الانجازية الأصل و القوة الانجازية المستلزمة يصبح لزاما عليها أن تمثّل له ما في جهازها الواصف ضمن الخصائص المتداولة للعبارة.

و أرجع المتوكل آليات التّمثيل إلى آليتين سمّاهما التّمثيل المساوى و التّمثيل الموازي.

[1] ينظر: المتوكل أحمد ، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ،المرجع السابق، ص ص 50-51.

[2] ينظر: المتوكل أحمد ، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط ،المرجع السابق، ص ص 51-52.

أ–التّمثيل المادّي:

ويقصد بذلك التّمثيل الذي يرصد القوّة الانجازية المستلزمة إلى جانب القوّة الانجازية الأصل في نفس البنية التّحتيّة داخل مكوّن واحد شريطة أن يكون للقوّة الانجازية انعكاس في خصائص العبارة معجميّا أو صرفيّا أو تركيبيّا.

وكان من مقترحات المتوكل أن يمثّل للقوّتين الانجازيتين الأصل و المستلزمة معا داخل المكوّن النّحوى في نفس البنية التّحتيّة بواسطة مخصّصين انجازيين اثنين كما يتبيّن من البنية التّحتيّة (13) للجملة (ب6)(13) [سؤال –انكار-[أتزوجت هندا]

ب–التمثيل الموازي:

و كان المتوكل يقصد من ذلك الفصل بين القوة الانجازية المستلزمة التي لا انعكاس صوريا لها و القوة الانجازية الأصل ، و رصدها في مكوّن آخر غير المكوّن الآخر.

و يخلص المتوكل في معرض حديثه إلى أنّ البلاغيين و النّحاة العرب اعتنوا بالأدوات و صيغ منها ما هو أصل ومنها ما هو فرع يرتبط بمقتضيات المقام ، و منها ما يمكن أن يؤّول على أنّه قوة انجازية و منها ما يتحتّم تأويله على أنّه فعل خطابي قائم على الذّات .و يشير كذلك المتوكل إلى اقتراحات السكّاكي، حيث يقول انتبه الفكر اللغوي العربي القديم إلى ظاهرة الاستلزام التّخاطبي كما لاحظ أنّ اقتراحات السكّاكي تمتاز في باقي ما ورد في وصف الظّاهرة ، و تحمل أهمّ بذور التّحليل الملائم للظّاهرة، أي التّحليل الذي يضبط علاقة الصّريح بالمعنى المستلزم مقاميّا.[1]

ب–الأفعال الكلامية عند صابر الحباشة

من مواليد 1975 بتونس، له عدة مؤلفات في اللسانيات، حيث يعدّ من بين اللّسانيين العرب، والذي أهتمّ بالجانب اللّساني بوجه عام واللّسانيات التّداولية على وجه الخصوص لذلك يمكننا أن نشير إلى بعض من اهتماماته في مجال اللّسانيات التّداولية، وبالخصوص فيما يتعلّق بالأفعال اللّغوية.

[1] ينظر: المتوكل أحمد : الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، المرجع السابق، ص52-70.

يشير صابر الحبّاشة في كتابه أمثلة الدّلالة وتداوليّات الخطاب – إلى أنّ " صاحب كتاب " الأسلوبيّة " انطلق من أنّ البراغماتيّة تدرس الأعمال اللّغوية كما ظهرت مع (أوستين) و(سيرل)، فهي تنظر إلى الأقوال من خلال ثلاثة مستويات من العمل اللّغوي.

- العمل اللغوي
- العمل المتضمّن في اللغة (أو اللاقولي)
- عمل أثر القول"

من خلال ما تمّ ذكره يتبيّن أنّ البراغماتيّة ترتكز على اللّغة المتداولة بين المتكلّمين، على اعتبار أنّ كلّ عنصر في العمليّة التّخاطبيّة يسعى إلى التّواصل مع الآخرين بهدف تحقيق أهداف مختلفة، وهذا من خلال وسيلة اللّغة والتي بها يتمّ تبادل الكلمات أو العبارات ما بين أقطاب العمليّة التّخاطبيّة مشكّلين من خلال ذلك مجموعة من الأفعال و الأعمال اللّغوية.

ويقول **الحباشة** أن **مولينيه** يرجع إلى **بروندونير** " الذي يرى أنّ كلّ فعل كلامي هو تحقيق لذاته ومجرّد كونه إنتاجا كلاميّا في حين أنّ القيمة التّأثيريّة تختصّ بتحقيق موقف ملموس تحقيقا فعليّا بواسطة التّكلم وحده"

من هذا التّعريف يتبيّن أنّ كلّ كلام يتمّ التّلفظ به ما هو إلا تأديّة لهذه الكلمات، أي من خلال تلفّظ المتكلّم فهو يقوم أو يؤدّي فعل قول، أمّا أثر القول فهو النّاتج من عمليّة التّلفّظ بالأفعال الكلاميّة حيث أنّ فعل القول يؤدّي إلى إحداث ردّ فعل من طرف المتلقّي سواء بالإيجاب أو بالسّلب، وهذا حسب سيّاقات مختلفة. [1]

فلو قلنا لشخص مثلا : أخرج من الغرفة ، فبواسطة هذه الجملة يعني أنّني أقوم بفعل قولي وهو تلفّظي بهذه الجملة بالذّات، أمّا الفعل المتضمّن في القول و الذي يتمثّل في هذه الجملة في الأمر بخروج الشّخص من الغرفة وهو المقصد الذي أريده كمتكلّم أمّا الفعل التّأثيري فهو الفعل النّاتج عن فعل القول وهو عبارة عن ردّ فعل المتلقّي من القول الذي يسمعه.

كما أنّ صابر الحبّاشة يشير إلى الباحث الفرنسي الذي يعتبر هذا الأخير" أنّ قيمة العمل الفنّي هو شيء إضافي، فهي لا توجد وقد تكون مكوّن من مكوناته، وهي –مع ذلك – تنتمي إلى طبيعة لغوية – وهذا هو واقعها المادّي –

[1] ينظر: الحباشة صابر: أسئلة وتدواليات الخطاب مقارنة عرضية تداولية، دار زهران للنشر، ط1، الأردن، 2011، ص 128.

"هذا القول الذي ذكره هذا الباحث الفرنسي إلى أنّ اللّغة تنتقل من الجانب اللّغوي إلى المحسوس (المادي) أو العكس، يعني أنّ اللغة تشكّل الأشياء وهذا ما عمل عليه أوستين من خلال مقولة كيف ننجز الأشياء بالكلمات؛ فالكلام يمكن أن يشكّل أشياء متعدّدة، وكذلك ،أنّ من خلال الأشياء نكوّن الكلمات هذا من جهة أخرى فما الابتكارات ،والاختراعات إلا من خلال اللّغة، ومن جهة أخرى أنّ " الفعل الكلامي يتّسم بكونه أدبيّا هو تأثيري أو لا يكون شيئا فالأدبيّة هي انجازية performativité مطلقة للّغة.

يعني هذا أنّ الأعمال الأدبيّة التي تقوم على مجموعة من الأفعال الكلاميّة لا يمكن تشيئتها إلا من خلال ما تحدثه من تأثير ، فهذه الأعمال الأدبيّة تشيّئ إذا كانت لها تأثير في المتلقّي؛ لذلك فالأدبيّة هي انجازية للغة.

كما نجد أنّ صابر الحبّاشة في حديثه عن التّداولية، يشير إلى أنّ التّداولية لها مهمّتان:

1- الأعمال اللغوية المهمّة، و ذلك هو تحليل الأعمال المتضمّنة في الأقوال فمن خلال هذه المهمّة التي تقوم عليها التّداولية تبيّن أنّ استعمال اللغة بين المتكلّمين يقوم على الأقوال المتضمّنة في القول، فالفعل المتضمّن في القول يخلق نوعا من التّحفيز المادّي و المعنوي يعني أنّ المتكلّم إذا حقّق تأثير على المتلقّي (تحفيز مادي) ستنتج تلقائيّا أنّ فعله الانجازي الاصلي حقّق فعل انجازي مستلزم و بالتّالي نتج للمتكلّم (تحفيز معنوي)، و هذا ما يكون دافعا لمواصلة عمليّة التّواصل اللّغوي.

2- تعيين خصائص سيّاق التّلفّظ الذي يحدّد أيّ القضايا يعبّر عنها بجملة معطاة، يعني أنّ هذه المهمّة تحيل إلى أنّ التّلفّظ بالكلام لا يكون اعتباطا و إنّما يكون محاط بسيّاج من السيّاقات المختلفة، و بالتّالي فإنّ أيّ فكرة أو عبارة أو قضيّة، تصاغ في جمل معطاة. [1]

و يؤكّد كذلك صابر الحبّاشة على أنّ مشكلة تحليل الأعمال اللّغوية تتمثّل في إيجاد السّبل الكفيلة لنجاح الأعمال اللّغوية، يرتكز نجاح هذه الأعمال اللّغوية على وجود خصائص أو اشتقاقها من السيّاق الذي ينجر فيه العمل اللّغوي، و ذلك أنّ انجاز الأعمال اللّغوية تكون وفقا لسياقات مختلفة، فكلّ عمل لغوي منجز له مميّزات تختلف عن عمل لغوي آخر، لذلك فإنّ سيّاق التّلفّظ لا يختصّ بالقوّة التي عبّر بها عن فكرة أو قضيّة، و إنّما يشمل الشّيء المعبّر عنه نفسه.

فلو أخذنا لذلك مثال كقولنا: القسم جميل اليوم، فهذه عبارة وصفيّة انجازية و هي فعل قول، و الفعل الانجازي هو قولي أنّ القسم جميل، و فعل التّأثير يكون من طرف المتلقّين من خلال تقديم فعل انجازي استلزامي و المتمثّل

[1] الحبّاشة صابر: أسئلة وتدواليات الخطاب مقارنة عرضية تداولية، المرجع السابق، ص 129.

في قولهم مثلا نعم أو شكرا لكن جوهر المثال هو أنّ سيّاق التّلفّظ لا يرتكز على قوّة النّطق بالقضيّة و إنّما يشمل كذلك على تجسّد القضيّة في الواقع العملي [1]

ج–الأفعال الكلامية عند مسعود صحراوي

يعتبر اللّساني و الباحث اللّغوي مسعود صحراوي من بين الباحثين البارزين على السّاحة العلميّة في مجال اللغة و ذلك من خلال ما تمّ تقديمه، حيث أثرى المكتبة العربية بالعديد من مؤلّفاته، و مادام كذلك فقد كانت له صولة و جولة في العديد من القضايا اللّغوية، و لكن ما يهمّنا في آخر الحديث هو مساهمته في نظرية الأفعال الكلامية.

في الفصل السادس و المعنون بـ التوجّه الحجاجيّ في الخطاب السّرديّ – من كتاب تداوليّة الخطاب السّردي– بدأ مسعود صحراوي حديثه في مفهوم الحجاج و الأفعال الكلامية، حيث أشار إلى أنّ مفهوم الحجاج أخذ حيّزا كبيرا من اهتمامات الباحثين على اختلاف تخصّصاتهم، و أنّ السّبب الدّاعي لهذا الاهتمام هو لإعادة إحياء لقضايا الجدل و المنطق و البرهان و إلباسها ثوب الحداثة المنطقيّة ثمّ البلاغة الحديثة و التي قامت هي الأخرى على إعادة بعث اللّهجة القديمة من جديد و بأسلوب يتماشى مع منطق التّطور.

من خلال هذه الاطلالة على هذه الآليّة من الآليّات اللّغويّة ،عمد المؤلّف إلى وضع تعريف لهذه الآليّة، و اعتمد في ذلك على تعريف كلّ من بيرلمان (perelman) و ميشال آدم، فبيرلمان يعرّفه(الحجاج): « إنّ هدف نظرية الحجاج هو دراسة التّقنيّات الخطابيّة التي تسمح بإثارة أو تعزيز موافقة الأشخاص على القضايا التي قدّمت لهم»[2] نستنتج من هذا التّعريف أنّ الحجاج وسيلة أو طريقة يعمد لها المتكلّم بهدف جعل الطّرف الآخر موافقا لرأي المتكلّم.

– أمّا تعريف آدم ميشال: إذ جعل الوظيفة الحجاجيّة وظيفة سابعة من وظائف اللّغة وهي إضافة كذلك إلى الوظائف الستّة التي جاء بها رومان جاكسون ،و يقول مسعود صحراوي أنّ كلامنا إمّا أن يكون للبرهنة و إمّا للمحاجّة إذ أنّ هذه الغاية تعدّ لدى البعض فضلى (حسب التّعبير النحوي) و عمدة لدى البعض الآخر، أي أنّ الكلام يحتاج في بعض الأحيان إلى برهنة و قد يكون فيه حجاج حسب القضيّة المتداولة، فإن كانت هذه البرهنة أو الجملة الحجاجيّة زائدة على اللّزوم فيمكن أن نّقول بأنّ ذلك البرهنة أو الحجاج لا فائدة منها، وخاصّة

[1] ينظر:الحباشة صابر: المرجع نفسه، ص 53-54

[2] صحراوي مسعود: تداولية الخطاب السّردي دراسة تحليلية من وحي القلم للرافعي، عالم الكتب، ط1، 2012،ص 103.

إذا كان هناك تصلّب في الرأي من طرف محاجج آخر. أمّا من الجهة الاخرى فقد يكون الحجاج أو البرهنة له دور كبير في توحيد الرّؤى ففي هذه الحال يعتبر الحجاج هو العمدة حسب لغة النحو.

توصّل مسعود صحراوي من خلال هذا المفهوم للحجاج إلى أنّه يمكن مماثلة أو مطابقة الهدف الحجاجي لمصطلح الغاية المتضمّنة في القول، و هذا المصطلح من مصطلحات الأفعال الكلامية التي جاء بها أوستين و سيرل، و قال بأنّ أهميّة هذه النّظرية تتجلّى في استعمالها في الكثير من النّماذج التّطبيقيّة.

كما و قد أشار مسعود صحراوي إلى التّصنيف الذي قدّمه أوستين للأفعال الكلاميّة منها:

1- فعل القول: و هو ما يتمّ التّلفّظ به من خلال بناء سليم للجمل مع مراعاة بناء الجمل أي البنية السّطحيّة والبنية العميقة على حدِّ تعبير تشومسكي

2 – فعل متضمِّن في القول: و هو الفعل الذي تحتويه هذه الجمل المتلفّظ بها و يعبِّر عن الفعل الانجازي الحقيقي الذي ترتكز عليه الجمل.

3 - الفعل النّاتج عن القول: و هو الفعل المحرِّك لردود الأفعال ،و المثال على ذلك لزيادة التّوضيح: فعندما أقول لشخص:أخرج من الحديقة، ففعل القول في هذه الجملة هو التّلفظ بهذه الجملة كما هي و الفعل المتضمِّن في القول: هو حمل الشّخص على الخروج من الحديقة ويمكن أن نقول هو فعل الأمر

أي أنّ الفعل المتضمِّن هو فعل الأمر بالخروج و هو متعلِّق بمقصود المتكلِّم أمّا الفعل التّأثيري: هو عبارة عن ردِّ الفعل النّاتج عن التّلفظ بالجملة .

كذلك أشار مسعود صحراوي إلى الاقتراح الذي وضعه أوستين للقسم الثّاني من الأفعال الكلامية، و كان كذلك لسيرل صياغة أخرى، حيث توصّل إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية و هي الأفعال الكلامية غير المباشرة أي أنّ هذه الأفعال الكلامية غير المباشرة يكون معناها مضمر يفهم من السِّياق على خلاف الأفعال الكلامية المباشرة و التي يكون معناها صريح ظاهر كما أنّ الفرق بين هذه الأفعال،[1] تكمن في أنّ الأفعال المباشرة يكون فعلها الانجازي واحد، و يمكن أن نعزِّز ذلك بمثال فعندما نقول: ينزل المطر فالفعل الانجازي هنا واحد هو نزول المطر

[1] ينظر: صحراوي مسعود: تداولية الخطاب السّردي دراسة تحليلية من وحي القلم للرافعي، المرجع السابق، ص 104-105

أمّا الأفعال الكلاميّة غير المباشرة فتحتوي على قوّتين انجازيتين. و المثال على ذلك: عندما نقول لشخص أحسّ ببرد شديد فالفعل الانجازي في هذه الجملة هو الاحساس أي (أحس)، أمّا الفعل الانجازي الآخر هو المتمثّل في طلب شخص بفعل شيء لمنع البرد أي حمل المتلقّي على ردّ فعل يستنبطه هو من التّلفّظ.

واعتبر مسعود صحراوي أنّ مفهوم القوّة الانجازية أو القوّة المتضمّنة في القول من أهمّ المفاهيم في النظرية الكلامية، و هو مفهوم خاصّ بسيرل و هو المفهوم الذي يعطى للملفوظ قيمته، و يشير كذلك إلى أنّ إدراج هذا المفهوم في مجال تحليل الخطاب هو محاولة لتّأكيد من دوره و أهمّيته في تحليل الخطابات لأنّها عبارة عن متوالية من الأفعال الكلامية، و يصل بكلامه إلى أنّ النّص الواحد ماهو إلّا متوالية من الأفعال الكلامية المترابطة و التي تؤدّي أغراضا انجازية تربط هي الاخرى لتخلق فعلا كلاميّا واحدا يؤدّي غرضا انجازيا واحدا، و يعزّز قوله بتعريف ليوأبوستيل : النّص« النّص سلسلة من أفعال الخطاب التي من الممكن أن تعتبر في حدّ ذاتها فعلا خطابيا موحّدا»

و بعد عرض لما ذكره مسعود صحراوي عن الحجاج و الأفعال الكلامية، و كان هذا عبارة عن دراسة تحليليّة لوحي القلم للرّافعي توصّل إلى استخلاص نتائج منها:

- يشير مسعود صحراوي إلى وجود كثير من المقولات و التي تندرج ضمن أنواع الأفعال الكلامية، و التي كانت تلخيصا لما أخرجته النّصوص السّرديّة يقول بأنّ هذه المقولات تعبّر عن مستوى آخر هو الأفعال الكلامية الكليّة و التي تتلخّص فيها الأفعال الكلامية الجزئية، و يمكن أن تكون هذه الأفعال مباشرة أو غير مباشرة ويستدلّ صحراوي بما قدّمه الرّافعي في قصّته الأشجار و السّمكة.
- يقول صحراوي أنّه إذا تمّ اعتبار السّرد فعلا كلاميّا كليّا، فيكون استعماله عند الرّافعي أحد عشرة استعمالا حجاجيا.
- يمكن أن نستنتج ممّا تمّ ذكره أنّ ما قدّمه مسعود صحراوي لمدوّنة وحي القلم للرّافعي مستعينا في ذلك بآليّة من الآليّات الخطابيّة و هي الآلية الحجاجيّة و التي تعدّ الآليّة الملازمة لنظريّة الأفعال الكلامية، بل هناك من اعتبرها أنّها ذاتها فعل كلاميّ مركّب.[1]

[1] ينظر:صحراوي مسعود:تداوليات الخطاب السردي دراسة تحليلية لوحي القلم للرافعي،المرجع السابق، ص ص 104-105.

الفصل الثاني:

الأفعال الكلامية

في الحديث النبوي الشريف

توطئة:

تعد اللّغة وسيلة من الوسائل التي يعتمد عليها الإنسان في حياته اليوميّة، لذلك فاللّغة هي الإنسان والإنسان هو اللغة، فلا يمكن أن نّجد إنسان بلا لغة، لذلك فالإنسان يعيش باللّغة ومع اللّغة وفي اللغة فمن خلالها يستطيع الإنسان تحقيق حاجاته المختلفة والمتنوّعة، على اعتبار أنّ حاجات الإنسان تمتاز بالتّجديد فكلّما حقّق حاجة من الحاجات إلا وتطلّع الإنسان إلى تحقيق حاجات غير مشبعة عن طريق هذه الوسيلة (اللغة).

كما أنّه لا يمكن أن نجد مجتمع بلا لغة، فاللّغة بالنِّسبة للمجتمع تعتبر الوعاء الثّقافي لكلّ مجتمع فهي إذا الرِّباط الذي يربط بين الأفراد مشكِّلة بذلك نسيج من العلاقات الاجتماعية و الجسر الذي تعبر عليه الأجيال للإنتقال من وضع إلى وضع آخر.

لذلك تعتبر اللّغة من بين الوسائل المساهمة في الحفاظ على الإرث الحضاري لكلِّ مجتمع من المجتمعات ومادام بحثنا عن اللّغة فإنّ أفضل ما نوجّه إليه إهتمامنا في هذا العمل هو الحديث النّبوي الشّريف الذي تلقّته الأمّة الإسلامية جيلا عن جيل لأنّه يعتبر – طبعا- الإرث الثّمين للأمّة الإسلاميّة، لذلك فلا غرو أن ينصبّ اهتمامنا على أهمِّ إرث عرفته الحضارة الإسلاميّة، وهو إرث يرتبط ارتباطا شديدا باللّغة العربيّة ألا وهو إرث الأحاديث النّبويّة الشّريفة، هذه الأحاديث نقلها الصّحابة رضوان الله عليهم كما سمعوها من النّبي صلّى الله عليه وسلم واهتمّوا بها أيّما اهتمام ثمّ توالت هذه إلهتمامات واستمرّت جيلا بعد جيل، وعليه سنقف عند جيل يتزعّمه إمام فذّ ،علم جهبذ، ألا وهو الإمام أبو زكريّا محي بن شرف النّووي حيث سعى الإمام النّووي رحمة الله عليه بجهده الحثيث في جمع ما قاله النّبّي الكريم من أحاديث في متن سمّاه بمتن الأربعين النّوويّة.

من خلال ما سبق سنتطرّق في بحثنا هذا إلى متن الأربعين النّوويّة ومؤلِّفها.

1- التعريف بالإمام النووي

" هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محي الدِّين أبو زكريّا يحي بن شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمّد بن جمعة بن حزام النّووي ولد رضي الله عنه في محرّم سنة إحدى وثلاثين وستّمائة بنوى من أعمال دمشق وبها نشأ وحفظ القرآن الكريم ثم رحل إلى دمشق في طلب العلم فسكن المدرسة الرواحية وحفظ التّنبيه للشّيرازي في نحو أربعة أشهر ونصف ثم حفظ ربع العبادات من المهذّب للشّيرازي في باقي السّنة وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درسا.

صنّف شرح مسلم ورياض الصّالحين والأذكار والأربعين النّوويّة و"سمِّيت باسم الأربعين النووية" أو التِّبيان في آداب حملة القرآن ومختصره والمنهاج والرّوضة والفتاوى والإيضاح والإيجاز وتحرير ألفاظ التّنبيه والتّرخيص في القيّام لأهل الفضل والإرشاد والتقريب والمبهمات وطبقات الفقهاء وتهذيب الأسماء واللّغات ومختصر أسد الغابة ومناقب الشّافعي وغيرها كثير.

وقد بلغ من الورع والزّهد شوطا بعيدا وكان يواجه الملوك والأمراء بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ولقد اتّصف بثلاث صفات لو كانت لشخص لشدّت إليه الرِّحال. [1]

المرتبة الأولى العلم والثّانية الزّهد والثّالثة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر وفي سنة ستّ وسبعين وستّمائة عاد إلى نوى بعد أن ردّ الكتب المستعارة من الأوقاف وزار مقبرة شيوخه فقرأ ودعا وبكى وزار أصحابه وودّعهم فخرج جماعة منهم لتوديعه إلى ظاهر دمشق وسألوه متى الاجتماع فقال بعد مائتي سنة فعلموا أنّه عنى القيّامة وبعد أن زار والده وبيت المقدس والخليل ثمّ عاد إلى نوى فمرض فيها وتوفّي قدّس الله سره في ليلة الأربعاء ليلة أربع وعشرين من رجب."[2]

كما أنّ الحافظ النووي رحمه الله من أصحاب الشّافعي المعتبرة أقواله ومن أشدّ الشّافعية حرصا على التّأليف فقد ألّف في فنون شتّى، في الحديث وعلومه وألّف في علم اللّغة كتاب "تهذيب الأسماء واللغات"، وهو في الحقيقة من أعلم النّاس، والظّاهر – والله أعلم- أنّه من أخلص النّاس في التّأليف، لأنّ تأليفاته رحمه الله انتشرت في العالم

[1] النووي أبو زكريا يحي: شرح متن الاربعين النووية، دار المجد للنشر والتوزيع، سطيف (الجزائر)، ص ص 5-4.
[2] النووي أبو زكريا يحيى: شرح الأربعين النّوويّة ،المرجع نفسه، ص ص 4-5.

الإسلامي فلا تكاد تجد مسجدا إلا ويقرأ فيه كتاب " ريّاض الصّالحين" وكتبه مشهورة مبثوثة في العالم ممّا يدلّ على صحّة نيّته، فإنّ قبول النّاس للمؤلّفات من الأدلّة على إخلاص النيّة.

وهو رحمه الله مجتهد، والمجتهد يخطئ ويصيب، وقد أخطأ رحمه الله في مسائل الأسماء والصّفات، فكان يؤوّل فيها لكنّه لا ينكرها، فمثلا (استوى على العرش) يقول أهل التّأويل معناها: استوى على العرش لكي لا ينكرون: (استوى) لأنّهم لو أنكروا الاستواء تكذيبا لكفرو فهم يصدّقون به ولكن يحرّفونه. ومثل هذه المسائل التي وقعت منه رحمه الله خطأ في تأويل بعض نصوص الصّفات إنّه لمغمور بما له من الفضائل جمّة ومنافع، ولا تظنّ أنّ ما وقع منه إلّا صادر عن اجتهاد وتأويل سائغ – ولو في رأيه- وأرجو أن يكون من الخطأ المغفور، وأن يكون ما قدّمه من الخير والنّفع من السّعي المشكور، وأن يصدق عليه قوله تعالى:﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: 114]"[1].

2- نبذة عن الأربعين النووية.

تعدّ الأربعون النّووية من أحسن تأليفات النّووي رحمه الله، وهي ليست أربعين، بل هي اثنان وأربعون لكنّها عرفت بهذه الصّيغة، كما أنّ العرب يقولون أربعون ويحذفون الكسر في الأعداد وإن زاد واحدا أو اثنين.

وعن هذه الأربعين يتحدّث صاحبها النّووي رحمة الله عليه فيقول: « وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثا اقتداء بالأئمة وحفّاظ الإسلام، ثم من العلماء من جمع من الأربعين في أصول الدين وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد وبعضهم في الزّهد، وبعضهم في الآداب وبعضهم في الخطب، وكلّها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها.

ويتبع قوله وقد رأيت جمع أربعين أهمّ من هذا كلّه وهي أربعون حديثا مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدِّين، قد وصفه العلماء بأنّ مدار الإسلام عليه، وهو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك، ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم وأذكُرها محذوفة الأسانيد ليسهل حفظها في ضبط ما خفي من ألفاظها ويشير المؤلِّف إلى أنّ الأربعين اشتملت على أحاديث مهمّة واحتوت على تنبيه على جميع الطّاعات».[2]

[1] العثيمن محمد بن صالح : شرح الأربعين النووية، ط1،، دار الإتّباع، مصر، 2014، ص(7،6).

[2] العثيمين محمد بن صالح :شرح الأربعين النوويّة ،المرجع نفسه،ص(8،7)

توطئة.

لقد تمّ التّطرق في الفصل الأوّل إلى نظريّة الأفعال الكلامية كمفهوم لساني تداولي طغى على السّاحة اللغوية العربية، وأشرنا إلى كل ما له صلة بهذه النظرية ،كما وتتبعنا تطوّر هذه النظرية بدءا من مهدها الأوّل، ثمّ توقّفنا عند بعض اللّسانين العرب، لذلك فقد ارتأينا في الفصل الأخير أن ننزل بهذه الأفعال الكلامية على ساحة أو ميدان لغوي عريق والمتمثّل في متن الأربعين النّوويّة لصاحبها الإمام النووي رحمة الله عليه .

تجليات تصنيفات سيرل في الحديث النبوي الشريف.

الحديث الأول:

" عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1]

الواضح من هذا الحديث النبوي الشريف أنّه ينضوي تحت صنف الإخباريّات أو التّأكيدات أو الحكميّات.

فقد وردت في هذا الحديث الشريف أفعال شريفة صدرت من ذوات شريفة وعلى وجه الخصوص من ذات النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك حدوث فعل منسوب إلى صاحبه الفاروق عمر وهو فعل السّماع حيث قال سمعت وهو فعل دالّ على الإصغاء والسّماع للخبر الذي يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ففعل سمعت يدلّ على حضور المتلقّي وهو عمر لإستقبال الخبر من المرسل وهو محمد صلى الله عليه وسلم هذا من جهة الفعل سمعت.

أمّا الأفعال الأخرى والمتمثّلة في قال، يقول، نوى، كانت، يصيبها ينكحها، ...، وإذا فصلنا بين هذه الأفعال فنجد الأفعال المضارعة والمتمثّلة في يقول، يصيبها، ينكحها.

فهذه الأفعال في هذا الحديث الشّريف دلالة على البعد التّداولي لها.فالأفعال المضارعة والمتمثّلة في يقول يصيبها، ينكحها، فهذه الأفعال دلالتها تشير إلى استمراريّة الفعل في المستقبل.

وللإشارة أن فعل الأمر لم يذكر وذلك تناسبا مع أساسيات الخطاب إذ أنّ هذا التّقسيم هو ما دأب عليه علماء النّحو فسيبويه يقول: وأمّا الفعل فامتثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبقيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع".[2]

فوجود الأفعال في نصّ الحديث هو دلالة على الحركة والديناميكية، فالأفعال الماضيّة تدلّ على التّقرير للأحداث.

[1] النووي زكريا يحي بن شرف:شرح الأربعين النّوويّة ، المرجع السابق، ص3.

2 أبو بشير سيبويه: الكتاب: تح عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط3، (د. ت)، ص12.

وعليه فالأفعال المذكورة في هذا الحديث الشّريف فيها قوّة متضمّنة في القول وهذا حسب (سيرل):" أي إمتلأ اللّفظ بقوّة انجازية معيّنة والقوّة التّعبيرية هي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تعزيزا".

وهذا ما يتجسّد في الأفعال الآتية، يقول، يصيبها، ينكحها... ، فالفعل القضوي يعبّر هنا عن الحركية التي يقوم بها المستمع (المستقبل) وذلك أنّ الإنسان يعيش في هذه الحياة ويقف أمام عقبات عديدة توجّهه يمنة ويسرة، والإنسان بطبيعته مجبول على حبّ العمل فقيمة العمل في الإسلام عظيمة، وهذا ما نجده في العديد من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة 105]

والأعمال أنواع منها أعمال قلبيّة وأعمال نطقيّة وأعمال جوارحيّة لذلك جاء في الحديث «إنّما الأعمال بالنيّات»، حيث بدأ هذا الحديث بأداة حصر وهي إنّما، فالنّبي صلّى الله عليه وسلم حمل المستمع على أنّ الأعمال محصورة في النيّات، إذ أنّ الدّاعي التّداولي في ذلك هو أنّ النّاس تختلف نيّاتهم في الأعمال التي يقومون بها.

كما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يؤكّد على اثر النيّة ونوعها فنجد الجملة الشّرطية في قوله: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ففي هذه الجملة نجد فعل القول المتمثّل في كانت، والفعل المتضمّن في القول هو نيّة الهجرة: حيث بيّن الرّسول الكريم فأعقبها بجملة جواب الشرط وهي دلالة صريحة، صرّح بها النّبي وهذا لتحفيز السّامع إلى حسن النيّة والمقصد، وبهذا يمكن أن نقول أنّه يدخل في أثر الفعل وهو حسن النيّة، لذلك فإنّ النّبي صلّى الله عليه وسلم يبيّن أنّ النيّة هي أساس الأعمال فلا صحّة للأعمال بالنيّة، لذلك أشار الحديث إلى هذه القيمة المهمّة في حياة المسلم فكلّ الأعمال على اختلافها يجب أن تكون بنيّة خالصة لله تعالى، وإذا لم تكن كذلك فهي مردودة على صاحبها، وهو ما يوافق ما جاء في الحديث

إذ يقول "من كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

ففي هذه الجملة دلالة على سوء النيّة والمقصد في أداء الأعمال ففي هذه الجملة نجد فعلين مضارعين في الجملة الشّرطية، وهما يدلاّن على استمرار تأديّة الفعل من المتلفّي في المستقبل وهذا دلالة واضحة على البعد التّداولي، أمّا في جملة جواب الشّرط فيتمثّل في الفعل التّأثيري وهو المقصد في أثر الهجرة وهو سوء المقصد أو النية من هاجر للدنيا والفائدة البلاغية كذلك من ذلك التّحقير لمن هاجر لغير مرضاة الله

وعليه فالغرض كالتّداولي لهذا الحديث النّبوي الشّريف يتمثّل في إبراز قيمة النية في الإسلام، وأنّ الأعمال التي يقوم بها الإنسان لا تكون صالحة ومقبولة إلا إذا كانت النية خالصة لله سبحانه وكذلك متّبعة لسنّة النبي صلى الله عليه وسلم، إذا فصحّة الأعمال يتوقّف على هذين الشّرطين وهما الإخلاص لله والإتباع للنّبي لذلك فإنّ تداول هذا الحديث يعمل على إعادة بوصلة اتجاه القلب على الاتجاه الصّحيح وهو الإخلاص لله والإتّباع لهديٍ نبيِّه صلّى الله عليه وسلم.

الحديث الثّاني:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة وحجّ البيت وصوم رمضان"، رواه البخاري ومسلم.[1]

يدخل هذا الحديث الشريف ضمن التقريرات الإخباريات.

من خلال هذا الحديث الشريف نجد أفعال ذكرت فيه مثل قال، سمعت، يقول، بني، وهي أفعال في الماضي والمضارع والمبني للمجهول وكل فعل حسب سيّاق التّلفّظ.

حيث بدأ الحديث الشّريف بالفعل الماضي قال وهو منسوب إلى أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر، كما أنّ هذه الأمور تدخل في ما يعرف بصحّة الأحاديث أو ضعفها أو وضعها...إلخ.

حيث بدأ كلامه بسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن هذه الجملة يمكن أن نعدّ الفعل سمعت فعلا كلاميا مباشرا، أمّا الفعل الكلامي غير المباشر فهو فعل الملازمة للنبي صلى الله عليه مسلم من طرف الصحابي الجليل فالضّمير المرتبط بالفعل زاد في تدعيم القوة الإيجازية للفعل، من جهة أخرى نجد الفعل المضارع والمتمثّل في الفعل يقول هذا الفعل المضارع قد ساهم في انجازية الفعل الكلامي، وذلك لإفادة المتلقّين بأنّ كلام الرّسول صلّى الله عليه وسلم مستمرّ ومتجدِّد، وذلك بهدف تحقيق فعل التأثّر.

ومن خلال الجملة، بُني الإسلام على خمس يتبيّن انّ الجملة دلّت صيغتها الخبريّة على فعل كلامي مباشر هو الإخبار، وتتضمن كذلك هذه الجملة فعلا كلاميا غير مباشر مستلزما مقاميّا وهو تأكيد للمؤمنين بأنّ

1النّووي :شرح الأربعين النّوويّة، المرجع السابق، ص6.

الإسلام بُني على خمس، وهذا البناء يرتكز على شهادة أن لّا إله إلّا الله وأنّ محمّدا رسول الله، فمن خلال هذه الجملة يتّضح أنّ الفعل الكلامي المباشر هو الشّهادة لله ولرسوله صلّى الله عليه وسلم والفعل الكلامي غير المباشر هو الإعتقاد الجازم بذلك، كما أنّ الغرض الانجازي من هذه الجملة هو توحيد الله بالعبوديّة والإتّباع للرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

ومن الشهادتين لله ورسوله يتبيّن أنّ المعنى المتضمّن في قوله أنْ لّا إله إلّا الله هو الإتيان بالتّوحيد وأمّا شهادة أنّ محمدا رسول الله فهو البُعْدُ عن المعصية والبعد عن البدع، لأن المعنى المتضمّن في شهادة أنّ رسول الله هو أن يطاع فيما أمر، وأن يصدّق فيما أخبر وأن يجتنب ما عنه نهى وزجر وألّا يعبد الله إلا بما شرع، ثم يردف الرّسول الكريم قوله بأفعال كلامية متضمّنة في القول وهي أفعال تقريريّة وهي الأفعال المتجسّدة في قوله إقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحجّ البيت.

كما أنّ الغرض الانجازي لهذه الأقوال التي ذكرها الرسول الكريم هو تحقيق العبوديّة أو التّوحيد لله تعالى والإتّباع لرسوله الكريم من خلال تأديّة هذه الأفعال، كما أنّ هذه الأفعال المتضمّنة في القول ساهمت في تدعيم القوة الانجازية لشّهادتين، فتأديّة هذه الأعمال من طرف المكلّفين يتحقّق بتأديّة الفعل الكلامي المتضمّن في الشّهادتين.

لذلك فإن «تفسير شهادة أن لّا إله إلا الله، قوّة الشّهادة هي أعظم كلمة قالها مكلّف، ولا شيء أعظم منها، وذلك أنّ معناها هو الذي قامت عليه الأرض والسّموات، وما تعبّد المتعبّدون إلّا لتحقيقها ولامتثالها».

فمن خلال الحديث الشّريف يتبيّن أنّ هناك أفعال كلاميّة مباشرة وغير مباشرة، فالمباشرة وهي الجمل التي تمّ النّطق بها، من قبل الرّسول الكريم عليه أفضل الصّلاة والسّلام، أمّا الأفعال الكلاميّة غير المباشرة فهي ما تضمّنته الجمل المنطوقة من قبل الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ولذلك فإنّ الحديث النبوي الشريف يشير إلى انّ النبي صلّى الله عليه وسلّم يقوم بإخبار المؤمنين بأنّ الإسلام يقوم على دعائم خمس، وهذا الإخبار دلالة على تأديّة وظائف تداوليّة للفعل الكلامي التقريري، والذي يخبر عن حقائق ثابتة وصادقة لأنّها من الصّادق المصدوق والذي لا ينطق عن الهوى.

وبذلك فتقرير الحقائق السّابقة المذكورة في الحديث الشّريف دلالة مهمّة لتبليغ الدّعوة ومنه فاتجاه المطابقة في هذا الحديث الشّريف تتّجه من الكلمات إلى الواقع (العالم).

لذلك فالغرض التداولي من هذا الحديث الشّريف هو لتقرير حقائق ثابتة قطعا، حيث ذكر الرسول الكريم أنّ الإسلام يقوم على دعائم لا يمكن أن نستغني على واحد من هذه الدّعائم، لذلك فعن تداول هذا الحديث هو تداول لثوابت الإسلام الخمس.

الحديث الثّالث:

عن أمِّ المؤمنين أمِّ عبد الله عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» رواه البخاري ومسلم

وفي رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا ردّ».[1]

يدخل هذا الحديث ضمن تصنيف الاخباريات.

من خلال هذين الحديثين ذكرت أفعال ماضيّة ومضارعة وهذا تماشيّا مع سيّاق التّلفّظ ونجد: قالت، قال أحدث، عمل.

فالأفعال الماضيّة تمثّلت في قالت، قال، عمل، وانتهى، يعني أنّ الفعل قالت وهو منسوب إلى أمِّنا عائشة رضي الله عنها رَوَت عن النّبي صلّى الله عليه وسلّم ما قاله، أمّا الفعل قال فهو منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم من خلال ما تلفّظ به في حضرت أمِّنا عائشة رضي الله عنها وهي زوجه.

والفعل عمل دلّ على ما يتمّ عمله من قبل النّاس سابقا (الماضي).وعليه فالأفعال الماضية السّابقة أفادت التّصريح بكلِّ ما تمّ التّلفّظ به أمّا الفعل المضارع والوارد في الحديث الأوّل أو في الرواية الأولى وهو إشارة إلى ما سيتمّ إحداثه مستقبلا أو ما سيتمّ إحداثه في زمن التّلفظ، ولكن هذين الحديثين لا يوجد فيهما فعل الأمر وهذا حسبما يتطلبه الخطاب فالأفعال الموجودة في الرِّوايتين للبخاري ومسلم دلالة على البعد التّداولي لهذه الأفعال فلها – أي هذه الأفعال– قوة انجازية متضمِّنة في القول على حدّ تعبير سيرل أي ملأ اللّفظ بقوة انجازية، والقوة التعبيرية هي ما تمّ التّلفظ به.

فالفعل القضوي من خلال هذه الأفعال السّابقة تشير إلى ذلك الإنفعال الذي يحدثه النّبي صلّى الله عليه وسلم اتجاه ما سيحدث من أمور تخالف الشّرع وما يحدث كذلك.

1النّووي :شرح الأربعين النّوويّة، المرجع السابق، ص8.

أمّا القوة المتضمِّنة في هذه الأفعال فهي التحذير والتّنبيه من القيّام بإحداث أعمال في الشّرع لاتمتّ بصلة إليه، وهذا دلالة على تحمّل النّبي صلّى الله عليه وسلّم لمهمّة تبليغ الرّسالة.

أمّا الفعل النّاتج عن القول فيمكن أن نشير إليه من جهتين فالأوّل يمكن أن نقول أنّ ناتج القول نتج عن ما تمّ إحداثه وعمله من طرف النّاس فنقول بأنّ هذا الفعل حمل على قول الرّسول الكريم هذا الحديث الشّريف هذا من جهة ومن الجهة الثّانية أنّ ناتج القول هو لحمل المتلقّين بعدم إحداث أمر يخالف الشّريعة لذلك نعتبر بأنّ اتجاه المطابقة في الروايتين جاء مزدوج.

ونتوصّل إلى أنّ الغرض من هذا هو توجيه وتحذير النّبي صلّى الله عليه وسلّم كلّ مسلم من الوقوع في هذا الأمر وهو إحداث ما لم يرد في الشّرع لا في القرآن ولا في السنّة ومن وقع في ذلك فهو مردود عليه وعقابه عسير عند الله تعالى.

لذلك فإنّ الإحداث في شرع الله فهذا محرّم وحتّى ولو كان عن حسن قصد، كما ذكر العلماء بذلك.

كما أنّ الأعمال لا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله سبحانه وتعالى وموافقة للنّبي صلّى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله صلّى الله عليه وسلّم وعليه فهذا الحديث النّبوي الشّريف إعتبر أصل من أصول الإسلام دلّ عليه قوله تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾[الأنعام، 153] وهذه الآيات كدلالة على هذا الفضل العظيم.

كما وقد إتّفق العلماء – رحمهم الله- أنّ العبادة لا تصحّ إلا إذا اجتمع أمرين:

أولّهما: الإخلاص.

ثانيهما: المتابعة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم، والمتابعة أخذت من هذا الحديث ومن الآية السّابقة»[1]

لذلك فإنّ الغرض التّداولي من هذا الحديث هو تحذير المؤمنين من الإحداث في الدِّين ما ليس منه، وأنّ فعل ذلك يعتبر كإفتراء على الله ورسوله وفاعله يلقى عقابا شديدا، ومنه فإنّ تداول هذا الحديث هو تداول لوصيّة النّبي صلّى الله عليه وسلّم.

[1] العثيمين محمد بن صالح:شرح الأربعين النّوويّة، مرجع سابق، ص 82.

الحديث الرّابع :

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لّا إله إلّا الله وأنّ محمدا رسول الله، ويقيموا الصّلاة، ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلّا بحقّ الإسلام، وحسابهم على الله تعالى.» رواه البخاري[1]

يعدّ هذا الحديث الشّريف الذي بين أيدينا ضمن صنف الوعديّات أو الإلزاميّات، وكان من أفعاله المبنى للمجهول، المضارع والماضي، وهذه الأفعال دلالة على بعدها التّداولي لهذا الحديث الشّريف، فالفعل المبني للمجهول، زاد في قوة انجازية الفعل، فالفعل المبني للمجهول، وهو الفعل الذي لم يسمّى فاعله لذلك فإنّ الفعل المبني للمجهول يتغيّر بعد حذف فاعله، أي يحدث تغيّرات في الفعل عند حذف فاعله وإسناده إلى المفعول وذلك أنّه « إذا كان ماضيّا ضُمّ أوّله وكُسِرَ الحرف الذي قبل آخره، فتقول قُطِعَ الغُصْنُ وحُفِظَ الدَّرْسُ وإن كان الفعل مضارعا ضُمَّ أوّله وفتح الحرف الذي قبل آخره، فنقول يُقْطَعُ الغُصْنُ ويُحْفظُ الدرسُ»[2]

حيث أنّ الفاعل معلوم وهو الله سبحانه وتعالى ، وابهام المعلوم كما هو معلوم سائغ لغة واستعمالا، سواء في الأمور الكونيّة أو الشرعيّة أمّا على مستوى الجمل فنجد منها الخبريّة بصيغة الأمر والطّلب فالجملة الخبريّة الأمريّة هي- أُمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أن لّا إله إلّا الله أمّا الجمل الخبريّة وبصيغة الطّلب.

-يقيموا الصلاة.

- يؤتوا الزكاة.

- فإذا فعلوا ذلك.

- عصموا منّي دمائهم وأموالهم...

أمّا على مستوى الأسلوب فنجد أسلوب تفصيل لأركان الإسلام، وهي أبنية الإسلام والتي ذكرت في الحديث السّابق لذلك فالنّبي صلّى الله عليه وسلّم عمد إلى ذكر هذه الأسس بالذّات والتي يقوم عليها الإسلام للفت انتباه السّامعين وإلى أهميّة هذه الأسس في حياة المسلمين، هو أنّ عدم التزام النّاس بهذه الأسس وعدم

[1] النووي :شرح الأربعين النّوويّة، المرجع السّابق، ص100.

[2] عبد الحميد محي الدين: التحفة السّنية بشرح المقدمة الأجرومية، دار الإمام مالك، طبعة جيدة، 2003، ص ص 68، 69.

تطبيقها على أرض الواقع يكون بذلك الدّافع لمقاتلة هؤلاء الخارجين عن شرع الله، لذلك بدأ الرسول الكريم كلامه بكلمة أُمرت وهذا الفعل دلالة على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم الزم نفسه الشّريفة على تلبيّة طلب الله في أمره وأردف ذلك بعبارة أن أقاتل النّاس، فلو طبّقنا نظرية الأفعال الكلاميّة فيتّضح لنا أنّ الجملة تحتوي على فعل القول والمتمثّل في القوة التعبيرية للجملة السّابقة أمّا الفعل المتضمّن في القول وهو تنفيذ شرع وتلبيّة طلب الله من طرف الرسول الكريم، ثم أتبع قوله صلى الله عليه وسلم بالأداة حتّى، وهذه الأداة دعّمت وساهمت في زيادة القوة الانجازية لفعل الأمر والموجّه من الله عزّ وجلّ في صيغة الطّلب للنبي صلى الله عليه وسلم، لذلك فالأداة حتّى قد تكون للتّعليل وقد تكون للغاية، ففي حال، التّعليل تكون الجملة أن أقاتل، ليشهدوا أمّا في حال الغاية فتكون الجملة أقاتلهم إلى أن يشهدوا ، لكن في هذه الجملة حتى للغاية يعني أقاتلهم إلى أن يشهدوا.

كما أنّه من خلال هذه الجمل يمكن استخراج الأفعال الانجازية الصّريحة والضمنية، ففي جملة شهدوا أن لا إله إلا الله فالفعل الانجازي الصّريح يتمثل في حثٍّ الإنسان بالشّهادة وهذا ما نجده في الجمل الأخرى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وهي كذلك تتضمّن فعل إنجازي صريح يتمثّل في الحثٍّ والتّوجيه إلى تنفيذ هذه الأركان التي يقوم عليها الإسلام أمّا الفعل الانجازي الضِّمني ففي الجملة الأولى يتمثّل في تحقيق العبوديّة أو التّوحيد لله والإتِّباع لرسوله صلى الله عليه وسلم من خلال التلفظ بالشّهادة، وجملة يقيموا الصلاة فالفعل الانجازي الضمني يتمثّل في تأديّة الصّلاة المخصوصة (الصّلوات الخمس)، إذْ أنّ لفظ الصّلاة في هذه الجملة يدلّ على العامّة أي الصلوات الخمس والنّوافل، لكن الضِّمني والذي يعصم من المقاتلة هي الصّلوات الخمس.

أمّا في قوله صلى الله عليه وسلم ويؤتوا الزكاة فالفعل الانجازي الضمني يتمثل في إشارته إلى إعطاء الزكاة مستحقيها، أمّا في قوله فإذا فعلوا ذلك أي شهدوا أنّ لا إله إلا الله، وأنّ محمدا رسول الله وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة وهذا دلالة على أنّهم حقّقوا فعل التّأثّر من خلال تأديّتهم لهذه الأعمال

وقوله عصموا منّي دماءهم وأموالهم، فيمكن أن نقول بأنّ هذا يدخل ضمن ما يسمى بتقويّة الفعل الكلامي إيجابي التّأثير وهذا ما يؤدِّي إلى زيادة تحقيق الأخوّة الإسلاميّة إذا قاموا بهذه الأعمال لذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم فلا يحلّ أن يقاتلوا وأن تستباح دماءهم وذلك راجع كلّه إلى تطبيق ما قاله الرسول الكريم

لكنّ النبي الكريم يستثني هو إستثناء عام يعني أن لا تباح دماءهم وأموالهم إلا بحقٍّ الإسلام، مثل القصاص وزنا الثيِّب ،... وغيره.

أمّا بالنِّسبة للجملة الأخيرة والمتمثِّلة في قوله صلى الله عليه وسلم وحسابهم على الله تعالى، يمكن أن نقول أنّ ذلك يدخل في ما يسمى بالقصديّة (النيّة) وهي القضيّة التي أشار إليها كل من أوستين وسيرل حيث اعتبر أوسنين القصديّة بأنّها جزء مهمّ من الأفعال الكلامية والقوة الانجازية للفعل الكلامي مرتبط به، أمّا سيرل فأشار إلى أنّ القصدية مرتبطة بالغرض ودرجة الشِّدّة.

فقوله صلى الله عليه وسلم وحسابهم على الله تعالى دليل على أنّ الرسول الكريم قام بمهمّة التّبليغ وعمل على إقامة شرع الله على أرض الواقع، لكن ما يتعلّق بنيّة الفاعلين عند تأديّتهم لهذه الأعمال التي أمر الرسول بتطبيقها متعلِّقة بالله سبحانه وتعالى أي أنّ الله هو الذي يحاسبهم على الأعمال التي يقومون بها لأنّ الله هو العالم بالسّرائر وما تخفى الصّدور بقوله تعالى «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور». كما أنّ اتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى القول لذلك فإنّ الغرض التداولي من هذا الحديث هو لجعل تداول هذا الحديث هو تداول الثّوابت الإسلامية التي أقرّها القرآن الكريم والسنّة النبويّة، لذلك في حالة عدم الالتزام بهذه الثّوابت قام الرسول الكريم بتنفيذ وعده وهو مقاتلة من يحيد عن هذه الثّوابت بمقاتلة كلّ مخالف لذلك الأمر.

الحديث الخامس.

عن أبي هريرة عبد الرحمان بن صخر –رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنّما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختالفهم على أنبيائهم.» رواه البخاري ومسلم.[1]

يعتبر هذا الحديث الشّريف من صنف الأمريّات (الطّلبيّات) كما أنّ هذا الحيث الشّريف حافل – بمجموعة من الأفعال فنجد الماضي (نهيتكم، أمرتكم، استطعتم، أهلك).

والأمر (فاجتنبوه، فأتوا).

أمّا على مستوى الجمل فنجد الجمل الخبريّة:

– ما نهيتكم عنه فاجتنبوه.

– ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم.

[1] النووي أبو زكريا يحي :شرح الأربعين النووية ،المرجع السابق، ص11.

-فإنّما أهلك الذين من قبلكم...

أمّا الجمل الإنشائيّة فنجد:

- الأمر في فاجتنبوه.

-فأتو منه.

حيث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بدأ كلامه بالنّهي في قوله: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وعليه فالفعل الانجازي الصّريح هو الأمر أمّا الفعل الانجازي الضِّمني فهو استدعاء التّرك، ومنه فإنّ الغرض الانجازي من هذا الفعل هو الزّجر والذّم لكلّ من خالف أمر الرّسول الكريم وقد تدعّمت القوةّ الانجازية للفعل الكلامي بجملة جواب الشّرط المقترنة بالفاء (فاجتنبوه)، وفي مقابل النِّهي أمر النّبي صلّى الله عليه وسلّم المخاطبين بإتيان ما أمرهم به وكان ذلك من خلال قوله وما أمرتكم به فأتو منه وعليه فيمكن أن نحصل على فعل إنجازي صريح من خلال هذه الجملة والمتمثِّل في فعل الأمر أمّا الفعل الانجازي الضِّمني فهو الطّلب (استدعاء الفعل) كما أنّه يمكن أن نشير إلى شيء مهمّ أشار إليه.

الرسول الكريم في كلامه وهو قوله ما استطعتم، وهذا يدلّ على أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم والذي أوتي جوامع الكلم يعلم ما يقول ومتى يقول وماذا يضيف إلى غير ذلك، وعليه فقوله ما استطعتم يمكن أن نقول أنّه أسلوب أو استراتيجية التّلطيف اعتمد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك بهدف تحقيق قوة الفعل الكلامي المتمثِّل في قوله فأتوا، لذلك ومن خلال قوله فأتو منه اعتبر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الفعل كحمل ثقيل على المخاطبين فلجأ إلى إضافة شيء مهمّ ساهم في تدعيم القوة الانجازية للفعل الكلامي وهو اعتماده على استراتيجية التّلطيف، كما أنّ هذا الأسلوب أو الاستراتيجية تعتبر شيء مهمّ في الوظيفة التّداولية للكلام.

وإذا نظرنا إلى الجملة السّابقة وهي ما نهيتكم عنه فاجتنبوه لم يعمد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى إضافة ما استطعتم وهو أعلم بمراد كلامه، وذلك أنّ النّهي كما هو معلوم كفّ وكلّ إنسان يستطيعه على خلاف المأمورات والتي من خلالها قد يستطيع المكلّفين (المخاطبين) وقد لا يستطيع، ولهذا قال في الأمر ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [**سورة التغابن16**] وهذا دلالة – طبعا – على التّعبير النبوي الدقيق.

بالإضافة إلى ما سبق ختم الرسول صلى الله عليه وسلم كلامه بجملة فإنّما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فمن هذه الجملة يمكن لنا أن نحصل على قوة انجازية صريحة وهي الإخبار عن القوة الانجازية غير مباشرة والمستلزمة مقاميا وهي الذّم للفعل الذي أتيح من هؤلاء القوم، كما أنّ الجملة ابتدأت بأداة توكيد إنّ وما المصدرية فهذا ما زاد في تدعيم القوة الانجازية، هذا ويمكن أن نعتبر هذه الأداة من المقويات الموجّهة إلى المحتوى والشيء المهمّ الذي يحثّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم هو الإمتثال إلى أوامره وعدم مخالفته فيما يقول، كما يمكن أن نعتبر هذه الجملة كمثال ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للمستمعين عن الأقوام السّابقة وما حصل لها من هلاك وغيره من الأمور المذمومة.

أمّا الفعل المتضمّن في القول والذي يمكن أن نعتبره كناتج عن القول وهو هلاك الأمم السّابقة وذلك راجع إلى سبب كثرة مسائلتهم واختلافهم على أنبيائهم، كما أنّه لم يقل عن أنبيائهم وإنّما قال على أنبيائهم لأنّ هناك معارضة للأنبياء من طرف هؤلاء القوم، والقوم في هذا والحديث هم اليهود والنّصارى والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾[البقرة 67] وهم اليهود حيث جعلوا يسألون: ماهي؟ وما لونها.....

كما أنّ قرينة الحال تؤكّد أنّ المراد بهم هم اليهود والنّصارى.وعليه فالغرض التّداولي من الحديث النبوي الشريف هو لإمتثال لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم و اجتناب نواهيه وهذا فيه مصلحة عامّة وخاصّة، فعدم الالتزام بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وقيامه بمشابهة الأقوام السّابقة فهذا هلاك مثل هلاك الأمم السّابقة كما قال الحبيب المصطفى.

الحديث السادس:

عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته رضي الله عنهما، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

رواه الترمذي والنّسائي وقال الترمذي حديث حسن صحيح.[1]

يمكن أن يصنّف هذا الحديث الشريف ضمن صنف الأمريات (الطلبيات)، ونجد في هذا الحديث فعل أمر وفعل مضارع مكرّر، مع عدم وجود الفعل الماضي وفي هذا الحديث وبالضّبط ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لأنّه في حال الطّلب من المستمعين، وما نلمس أنّ هذا الحديث الشريف فيه ملامح الأمريّات (الطلب)، فهو

1النّووي :شرح الأربعين النووية، المرجع السابق، ص13.

يأمر المخاطبين بترك الرّيب لأنّ ذلك فيه قلق ويؤدّي إلى مالا يحمد عقباه وخاصّة في أمور العبادة كما أنّ النبي صلى الله عليه وسلم بدأ كلامه بجملة فعليّة، وهذا دليل على أنّ هذا أمر وفيه ديمومة واستمرار في الوقوع في مثل هذه الأفعال كما أنّ صيغة فعل الأمر تدلّ على البعد التّداولي لهذا الحديث الشريف، فقوله صلى الله عليه وسلم (دَعْ) دلالة على الأمر بترك الأمور التي تؤدّي إلى إحداث الشكّ والريب كما أعقب فعل الأمر بفعل مضارع وهو دلالة على أنّ قضيّة الشكّ أو الرّيب "تستمر مع الإنسان، وتحدث له في شؤونه الحياتيّة، لكن أكثر ما يؤثّر عليه في جانبه الشّرعي خاصّة، لذلك قال صلوات الله عليه دعْ ما يريبك إلى ما لا يريبك، أي أترك ما يلحقك به ريب وشكّ إلى ما لا يريبك، أي إلى ما لا يلحقك به ريب ولا قلق، لذلك فإنّ هذا الحديث الشّريف يعدّ من جوامع الكلم، فالعبد إذا أخذ بهذا الحديث واعتمد عليه تمكّن من إبعاد كل الشّكوك وبالتّالي تمكّن من تحقيق الاستراحة والسّلامة في كل أموره وشؤونه الحياتيّة والعبادة على وجه الخصوص.

لذلك فإنّ الحديث الشريف الذي يقتصر على فعل الأمر والمضارع والغرض منهما هو التّرك في هذا الحديث بالذّات والتّعبير عمّا سيحدث في المستقبل للمخاطب إذا لم يتمّ الاعتماد على نصّ هذا الحديث واتجاه المطابقة في هذا الحديث الشريف هو من العالم إلى القول (كلام)و الكلام ما تضمّنته الأفعال (الفعلين) السّابقين، فإن استجاب المخاطبين لطلب الرّسول صلى الله عليه وسلم تحقّقت المطابقة وحدث ما يسمّى بنجاح الفعل الكلامي على حدٍّ تعبير سيرل.

والغرض الانجازي من الأفعال السّابقة هو حمل المخاطبين على الابتعاد عن ما يريب وما يحدث الشّكّ في أعمالهم التي يؤدّونها، كما نلفت في هذا الحديث الشريف تكرار للفعل يريبك والتّكرار نوع من الأساليب التي يعمد إليها المتكلّم بهدف إحداث تأثير في المتلقّي (المخاطب)، كما أنّه يمكن أن نقول بأنّ هذا التّكرار للفعل يريبك عوّض كلام كثير كان يمكن للرّسول صلى الله عليه وسلم إضافته في كلامه، لكنّه، إقتصر على هذا الفعل بالذّات لأنّه أعلم بكلامه وهو أفصح العرب وأبلغهم حيث اختصر له الكلام اختصارا، ومن خلال هاتين الجملتين المذكورتين في الحديث لو ألّفت حولهما مجلّدات أو مؤلّفات لما توصّلوا إلى المعاني الموجودة في هاتين الجملتين على أكمل وجه.

لذلك فالفعل الكلامي حسب أوستين يكون الشكل التالي:

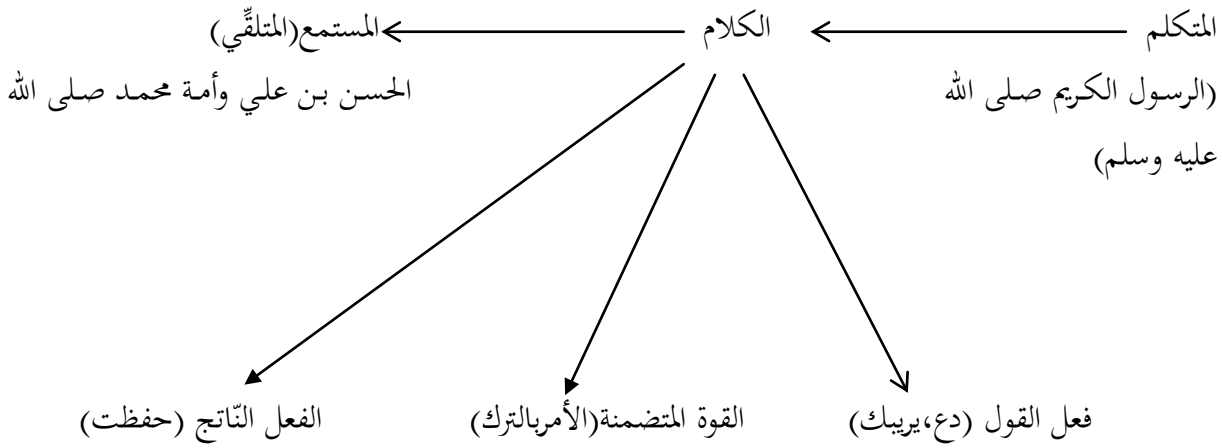

(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) (الأمر بالترك) (يتمثل في قول الحسن حفظت وبالتالي الاشباع لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

أمّا الغرض التداولي من هذا الحديث هو الابتعاد عن تداول فكرة الشّكّ والريب خاصّة في العبادات، لأنّ ذلك يؤدّي إلى وقوع أمراض مثل أمراض الوسواس كذلك فإنّ هذا الحديث الشريف يدعوا إلى تداول الفكرة المخالفة لفكرة الرّيب والشكّ.

الحديث السّابع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» حديث حسن، رواه الترمذي وغيره هكذا.[1]

يمكن تصنيف هذا الحديث الشريف ضمن الأمريات (الطلبيات).

فهذا الحديث احتوى على فعلين مضارعين هما تركه وهو دلالة على أنّ أثر حُسن إسلام المرء يبقي مستمرا في ترك ما لا يخصّه وما لا يتعلّق به، لذلك فإن حسن إسلام المرء الحقّ هو الذي لا يتدخّل في الأمور التي لا تتعلّق به وأنّ تدخّل المرء في الأمور التي لا تتعلق به فهذا يحيل إلى ضعف الإسلام المرء، لذلك فإنّ الفعل القضوي هنا يعبّر عن تللك الحركيّة التي يقوم بها المرء من خلال تركه لما لا يعنيه.

[1] النووي :شرح الأربعين النووية ، المرجع السابق، ص14.

أمّا القوة المتضمّنة في هذين الفعلين فهي إنجازهم لهذين الفعلين فلولا ترك المرء لما لا يعنيه ما حسن إسلامه.

كما أنّ المرء ة إذا ترك ما لا يعنيه هذا إنْ دلّ إنّما يدلّ على شيء ناتج عن حسن إسلامه، (وهو أثر ناتج عن التنفيذ والعمل بأركان الإسلام الخمس)

ونجد أنّ الحديث النبوي الشّريف يبيّن أنّ الإسلام أجمع المحاسن ومحاسن الإسلام كلّها تجتمع في كلمتين قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾[النحل 90].

وعليه فإنّ من اشتغل بما لا يعنيه فإنّ إسلامه ليس بذلك الحسن، بل إنّ إسلامه فيه أمارات الضّعف.

لذلك، فإنّ اتجاه المطابقة من العالم إلى الكلام. وهكذا نخلص إلى أنّ هذا الحديث الشريف يرتكز على قاعدة تواصلية هامة الهدف منها هو إبلاغ النّاس أنّ حسن الإسلام لا يكون إلا إذا ترك المرء ما لا يعنيه واشتغل بأموره.

لأنّ الاشتغال بأمور النّاس يتعب النّفس ويدخل النّفس في مزالق خطيرة تؤدّي به إلى أشياء لا ترضي الله ورسوله و من ثمّ لا ترضيه هو نفسه، لذلك فالإنسان المسلم الحقّ يشتغل بعيوبه ولا يشتغل بعيوب الآخرين وكما يقال ويا عين وللنّاس أعين.

ويمكننا إيضاح بنية هذا الحديث في الشكل التالي

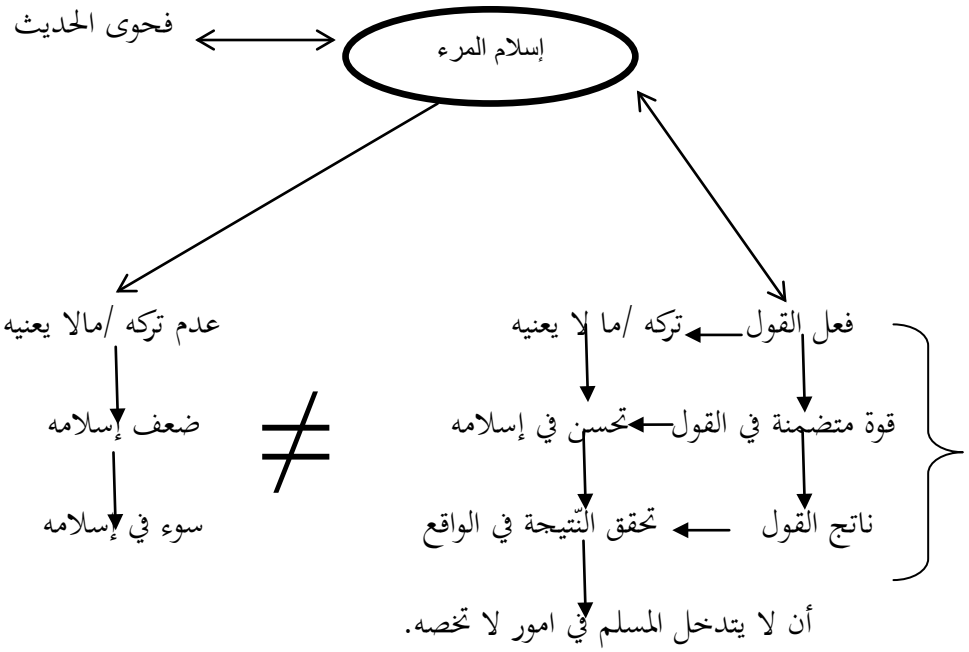

الحديث الثامن :

عن أبي حمزة أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه- خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه» رواه البخاري ومسلم[1].

يمكن أن نصنِّف هذا الحديث النبوي الشريف ضمن التّصريحيّات وقد احتوى الحديث على أفعال المضارعة والمتمثِّلة في: يُؤمن، يُحبَّ ما يُحبُّ، فمن خلال هذا الحديث الشريف يتبيّن أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يهدف من وراء كلامه إلى إحداث تغيير في الواقع، وحدوث هذا التّغيير لا يكون إلّا من خلال الإيمان، فقوة الإيمان وكمال الإيمان كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية هذا الحديث لا يؤمن أحدكم وهي إشارة لطيفة إلى أنّ إيمان أحدنا لا يتمّ حتّى تصدر المحبّة من النّفس إلى الآخرين وبالتّالي فذلك قوّة الإيمان وإنّما هو أسلوب لتقوية المنطوق وللفت الإنتباه من طرف السّامعين.

ففعل القول في هذه الجملة هي الصيغة التعبيرية والتي نطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم والغرض الانجازي للقول هو التّذكير أي تذكيرهم وتوجيههم إلى أنّ كمال الإيمان يكون إذا أحبّ العبد أخاه أمّا الفعل النّاتج عن القول فهو الإمتثال إلى أوامر المصطفى عليه الصّلاة والسّلام، ولقد تدعّمت القوّة الكلامية للنبي صلى

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السّابق، ص14، 15.

الله عليه وسلم وهذا مما يزيد في تغيير سلوك الآخرين، وهو قوله حتى يُحبّ لأخيه أي أنّ غاية إيمان العبد هو الحُبُّ الذي يَصْدُرُ من الفرد المؤمن لأخيه كما أنّه قال لأخيه وهذا يقتضي العطف والحنان والرقة، وهذه الصِّفات الحسنة كلها تتوفّر في المؤمن المحبّ لأخيه الخير وبالتّالي فإنّ ناتج القول هو حصول الحبِّ من المؤمن لغيره وبالتالي تمام وكمال إيمانه.

يمكن أن نخلص في الأخير إلى أنّ الغرض التداولي من هذا الحديث النبوي الشريف إلى أنّ الإسلام يضع أعظم قاعدة في العلاقات الإنسانية على الإطلاق، ففي العلاقات الإنسانية تقوم على قاعدة مماثلة نوعا ما لأنّ كلام البشر لا يمكن له أن يكون مماثلا لمن أوتي جوامع الكلم، وكما أنّ التّوقيع القرآني يشير إلى هذه الميزة والخاصّية في قوله ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى ﴾[النّجم 03].

وعليه فالقاعدة التي تقوم عليها « العلاقات الإنسانية تقول: عامل الآخرين بمثل ما تحبّ أن يعاملوك به».

لذلك فإنّ الإسلام يشيّد ويشير إلى أهمية هذه القيمة في حياة النّاس بل وحتّى للإنسان ذاته، وهذا ما نجده في قوله عز وجل ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[الحشر 09][1]. فالمعاملة هي أساس الدّين، لأنّ الدّين الإسلامي الحنيف يقوم على عبادات ومعاملات والكلّ مكمّل للآخر تحت مظلّة الطّاعة لله ولرسوله فتقدير الإنسان لنفسه يكون من خلال تقدير الآخرين له، أي أنّ الإنسان مرآة لأخيه الإنسان ونخصّ هنا بالذِّكر (المؤمن) حسب نصّ الحديث النبوي الشريف، فمن خلال هذا النوع من القيم الإسلامية والتي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وجمعها في قيمة الحُبّ، حيث نقلها صلى الله عليه وسلم من مجال ضيّق وهي الآنوية إلى مجال أوسع وهي الجمعويّة وبذلك تتشكّل الشّخصيّة الاجتماعية على حدِّ تعبير النظرية الاجتماعية "هربرت ميد" ومنه تعزيز وزيادة قوة اللّحمة الاجتماعية للمجتمع المسلم، وكل هذا يدخل ضمن إلهداف أو الوظائف التداولية المنشودة.

1 حمدي حسن: مهارات الانضباط السلوكي، دار اللطائف، ط1، 2004، ص98.

ومن خلال ما ذكر يمكن تلخيصه في الشكل التالي:

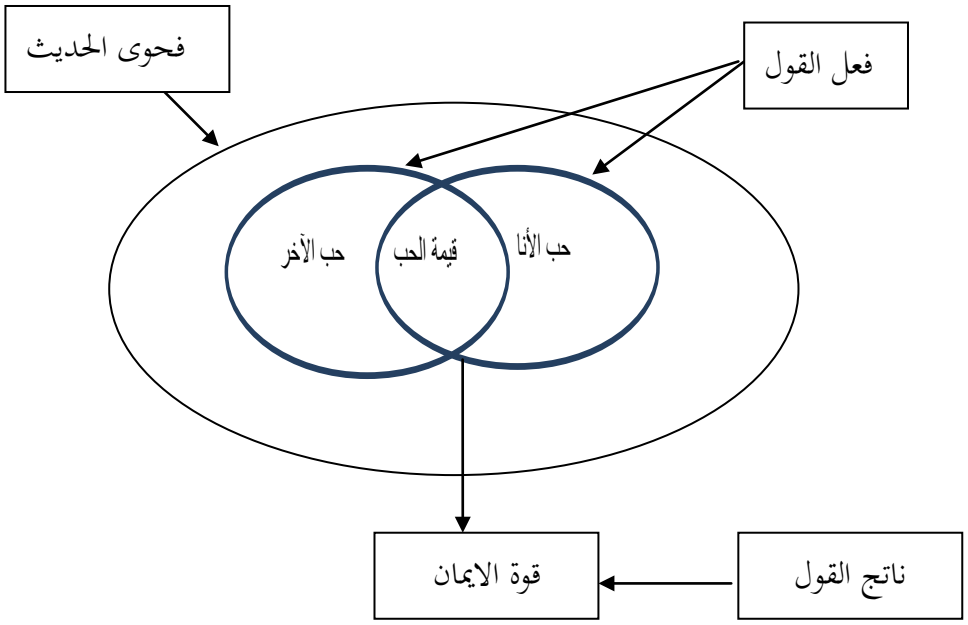

الحديث التاسع:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه» رواه البخاري ومسلم.[1]

يندرج هذا الحديث الشريف ضمن صنف الأمريات (الطلبات) ونجد في هذا الحديث الشريف مجموعة من الافعال في الماضي والمضارع والأمر، فالأفعال الماضية تتمثل في كان وهي مكررة في الحديث.

وأفعال المضارع تتمثل في يؤمن وهي متكرّرة كذلك أمّا أفعال الأمر فتتمثّل في: ليقُلْ، ليصمت، ليكرم أمّا من حيث الجمل فنجد الجمل الخبرية التقريرية والجمل الإنشائية فالجمل الخبرية التقريرية:

-من كان يؤمن بالله واليوم الآخر.

أمّا الجمل الإنشائية وغرضها الأمر.

-فليقل خيرا أو ليصمت.

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص16.

- فليكرم جاره.

- فليكرم ضيفه.

ومن المعلوم أنّ ما تقرّره التّداولية أنّ في الأمريات (الطلبيات) نجد المتكلم يحمل المخاطب على فعل شيء أو ترك شيء واتجاه المطابقة يكون من العالم إلى القول.

ومن خلال هذا الحديث نجد أنّه بدأ بجمل الشّرط متوالية كما يلي:

- جملة الشرط	جملة جواب الشرط
- من كان يؤمن	فليقل خيرا أو ليصمت
- من كان يؤمن	فليكرم وجاره
- من كان يؤمن	فليكرم ضيفه.

وجملة جواب الشرط في الحديث النبوي الشريف دالّة على الحثِّ والإغراء على قول الخير أو السّكوت، فهو كأنّما قال: إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فقل الخير أو أسكت وكذلك إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فعليك بإكرام الجار والضيف.

لذلك فإنّ الإيمان بالله واليوم الآخر تجمع بين القول والعمل وجملة جواب الشرط تفيد في تحقيق الفعل أي حثّ كل من يؤمن بالله واليوم في تحقيق الفعل.

والفعل الانجازي مصوغا في العبارة التّالية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويندرج هذا الفعل ضمن صنف الأمريات (الطلبيات) والقصد من هذا الفعل هو الحثِّ والإغراء.

فالمخاطِب هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمخَاطب هم المؤمنين والغرض من هذا الحديث النبوي الشريف هو الحثّ على إتيان هذه الأفعال والمتمثِّلة في قوله صلى الله عليه وسلم فليقل خيرا أو ليصمت وقواه فليكرم جاره وكذلك فليكرم ضيفه.

وعليه ففعل القول في هذه الجمل هي الصّيغة التعبيرية لهذه الملفوظات أمّا الفعل الكلامي لهذه الأفعال هي كلّها تدخل في فعل الأمر وفيما يخصّ الأفعال الكلامية غير مباشرة ففي جملة قوله فليقل خيرا أو ليصمت هو

السّكوت إلاّ في قوله ليصمت فساهمت في تدعيم القوة الانجازية للفعل، ونجد في الجملة فليكرم جاره الفعل الكلامي غير مباشر والمتمثّل في الإحسان إلى الجار وكذلك الإحسان إلى الضّيف.

وإذا تتبّعنا المعنى التّداولي لهذا الحديث النبوي الشّريف نصل إلى انّ كلّ العناصر المؤدّية إلى الإفادة وإلى تحقيق عمليّة التّواصل كانت ناجحة، لذلك فإنّ الغرض من هذا الحديث النبوي هو أنّه يهدف إلى تحقيق تربيّة المؤمن تربيّة حقّة قائمة على الآداب النّبوية والسنن المصطفويّة، حيث أنّ هدف النبي الكريم هو إقامة مجتمع مسلم قوي في إيمانه وسلوكه، فمن خلال هذا الحديث يسعى المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى إشاعة الكلمة الطيبة بين أفراد المجتمع المسلم فالمسلم يجب أن ينجز بكلامه ما يكون مفيدا له ولغيره وبالتّالي يكون كلامه قد حقّق نجاحا وهذا ما أشار إليه سيرل بالنّسبة لقضيّة نجاح وإخفاق الكلام، وعليه فإنّ الحديث يشير إلى هذه الميزة وهو قول الخير أو إن لم يكن فالالتزام بالصّمت أحسن من ذلك، وهذا ما نجده في كثير من الآيات الكريمة والتي تحثّ على قول الخير مثل قوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾.

وقوله كذلك : ﴿مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾

هذا ونجد كذلك في الأحاديث النبوية ما يشير إلى هذه الخصلة الطيّبة وهو قول الخير مثل قوله صلى الله عليه وسلم «وهل يكّب النّاس في النّار على وجوههم إلّا حصائد ألسنتهم؟!» وهذا الحديث إشارة إلى العذاب العظيم للذين لا يقولون الخير.

لذلك فإنّ من حفظ جارحة اللّسان فبمعنى أنّه قد طلب السّلامة وفي هذا يقول الشاعر: يُكَبُّ الناس في النّار حصد لسانه. وإرسال طرف المرء أنكى فقيّد.

هذا من جهة قول الخير، وبالنّسبة لجهة إكرام الجار والضّيف فهي خصلة طيّبة من يقوم بها فيعني أنّه يؤمن بالله واليوم الآخر وعليه فإنّ إكرام الجار يعني «والإكرام بطلاقة الوجه، والكلام الطيّب، والإطعام، وقد فسّر عطاء الخرساني حق الجار بالإعانة، والإقراض، والعبادة والتّعزية والتّهنئة واتباع الجنائز، وأن لا يستطيل عليه في البناء حتّى تحرمه من الرّيح والشّمس مثلا»[1]

1 فريد أحمد: التربية في منهج أهل السّنة، دار الجوزي، ط1، القاهرة، 2011، ص112.

كما أنّ لإكرام الضيف أهميّة كبيرة في حياة المؤمن وله دور كبير في تقويّة المجتمع المسلم، ولهذا فالمسلم مطلوب بأن يلتزم بآداب الضيّافة التي أشار إليها الحديث النبوي الشريف، لذلك يمكن أن نشير إلى بعض الآداب الخاصّة بالضيّافة منها:

«- أن يدعو لضيافته الأتقياء دون الفسّاق والفجرة

-لا يخصّ بضيافته الأغنياء دون الفقراء

- أن لا يقصد بضيافته التّظاهر والمباهاة بل يقصد الإتيان بسنة المصطفى»[1]

ولذلك فإنّ العمل بهذا المنطوق أو المنطوقات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم هو طاعة الله ورسوله فالإتيان بهذه الأقوال والعمل بها هو تأدية لفعل القول وتأثّر بها وهذا هو مرمى وهدف التداولية.

فالغرض التداولي من هذا الحديث النبوي والشريف هو عبارة عن حّث لتداول هذه الخصال كالحسنة في المجتمع المسلم والالتزام بها من أجل نشر تعاليم الدِّين الإسلامي الحنيف.

فتداول النّاس لهذا الحديث وجعله حجر الأساس لعلاقاتهم الإنسانية مهو تنفيد لأوامر المصطفى صلى الله عليه وسلم وهذا ما يؤدي غلى انتشار الصفات الحميدة في المجتمع المسلم.

الحديث العاشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلا قال للنّبي صلى الله عليه وسلم أوصني، قال: لا تغضب فردّد مرارا، قال: «لا تغضب»[2]

يندرج هذا الحديث النبوي الشريف، ضمن الأمريات (الطّلبيات) وفي هذا الحديث الشريف نجد الفعل الماضي: قال: فردّد وفعل الأمر، أوصيني، وفعل المضارع: تغضب.

وفي هذا الحديث الشريف سيطرت الجمل الفعلية على ذلك بدءا من قول الرجل أوصيني، إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تغضب ثمّ ردّدها لا تغضب.

1 ابو بكر جابر الجزائري: منهاج المسلم، مكتبة العلوم والفكر، المدينة المنورة، ص112، (د. ت).

[1]النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص17.

وهذه الجمل الفعلية دلالة على الديمومة والاستمرار لهذا الحدث أو هذا السّلوك الذي يمكن أن يصاحب الإنسان في حياته مادام حيًّا ولو بدأنا تحليل هذا الحديث من قول الرّجل للنبي صلى الله عليه وسلم أوصيني فهذا الفعل هو دلالة على فعل القول والذي صدر من الرّجل، والفعل الانجازي المتضمّن في القول هو فعل الطّلب وهو طلب الرّجل من الرّسول بأنّ يوصيه، وبالتّالي فالنبي صلّى الله عليه وسلّم ينجز عمل قولي وهو نطقه لا تغضب أمّا الفعل الانجازي المتضمِّن في قول الرّسول الكريم هو أمر الرّجل باجتناب الغضب وبالتّالي عمل تأثيري نتج من قول الرّجل للرّسول أوصني والغرض الانجازي لهذا الفعل هو النّهي والابتعاد عن هذا السّلوك المشين والذي لا يتماشى مع القيّم الإسلامية.

كما أنّ ترديد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لا تغضب هذا ما زاد في تدعيم القوة الانجازية لهذا الفعل لأنّ غرض التّكرار كما هو حاصل مع قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تغضب هو لتوكيد وترسيخ هذا المبدأ أو هذه القيمة الخلقيّة والتربويّة في عقل هذا الرجل.و الحديث الشريف يوضِّح أنّ هذا الرجل طلب من الحبيب المصطفى بأن يوصيه وهنا نجد فعل كلامي مباشر أمّا الفعل غير مباشر فيتمثّل في رغبة هذا الرجل في الالتزام أي إلتزام الرجل بالقول والعمل كذلك، لذلك أشار عليه النبي صلى الله عليه وسلم بجرعة دواء شافية كافية تامّة إن تمّ الالتزام بمقاديرها وفي وقتها المحدّد وهو قوله في الأولى لا تغضب وهي تحمل فعل مباشر وهو النهي أمّا غير المباشر وهو لا تغضب مبدئيّا ثمّ كرّر وقال صلوات ربي وسلامه عليه لا تغضب وهي الجرعة التامّة الشّافية من هذا الداء – طبعا- لأنّ الشِّفاء يكون بالتّكرار حيث حمل فعل مباشر وهو النهي أمّا غير مباشر فيتمثل في اجتناب الغضب نهائيا وفي وقته المحدّد وحسب مقامه وهذا محلّ الدّاء ومنه نهاية الداء في الحال.

ويمكن أن نوضح ذلك أكثر في مخطط كما يلي:

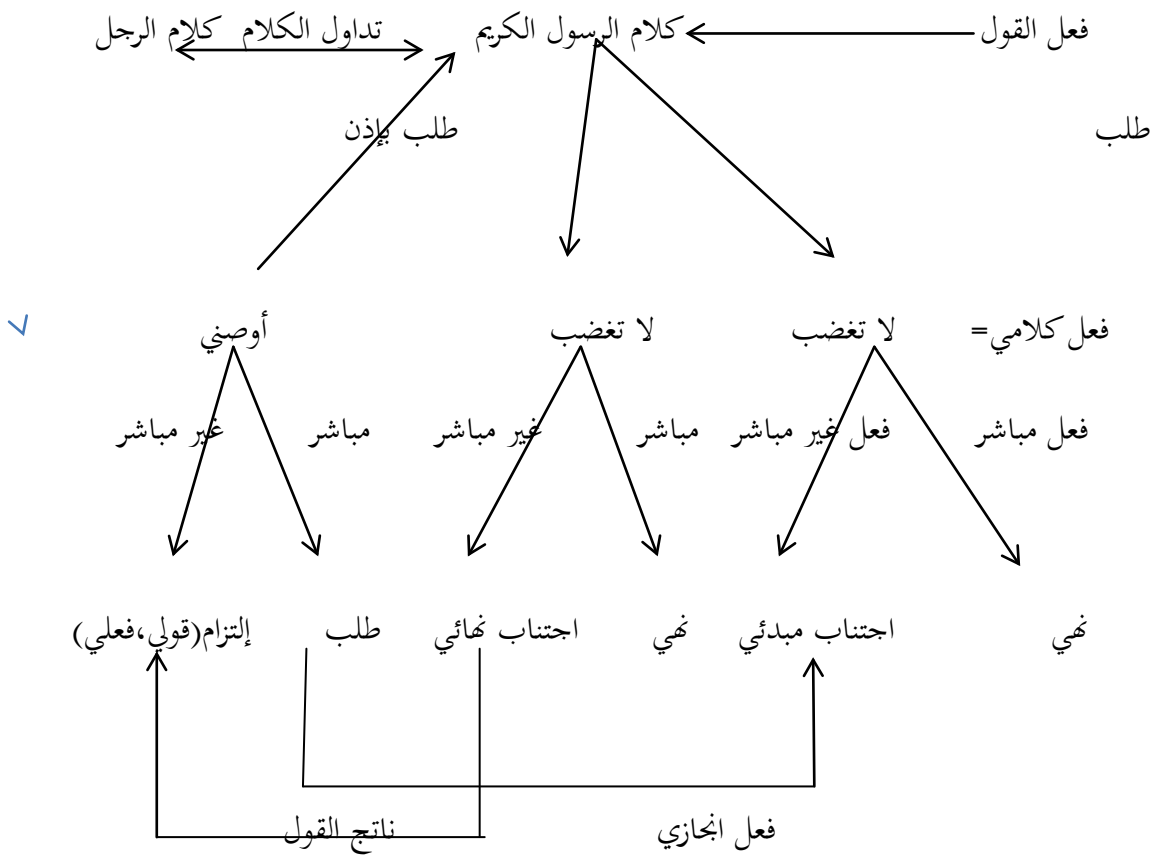

وعليه من خلال هذا الحديث النبوي الشريف فهو يعطي لهذا الرجل ومنه لأمته صلى الله عليه وسلم دواء ليس له نظير ولامثيل وأنّه دواء يكون أكثر فعالية إذا تمّ تداوله على حسب الالتزام بتعاليم الطبيب المنتج له وهو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

– فالرّسول الكريم يريد النّفع لهذه الأمّة من خلال تداول الخيرات بين أعضاء هذه الأمة وهو الذي قال لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه.

الحديث الحادي عشر:

عن أبي يعلي شداد بن أوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذّبحة وليُحدَّ أحدكم شفرته، وليُرح ذبيحته» رواه مسلم[1]

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية المرجع السابق، ص (17، 18).

يندرج هذا الحديث النّبوي الشريف ضمن الأمريات (الطلبات)، فعلى مستوى الأفعال نجد أفعال ماضية ومضارعة وأمر، أمّا الأفعال الماضية فتتمثل في كتب، قتلتم، ذبحتم ونجد الأفعال والمضارعة وتتمثل في: يحدُّ (يُحْدِدْ)، يُرِحْ أمّا الأفعال الأمر فتتمثل في: أحسنوا.

في هذا الحديث النبوي الشريف نجد الأفعال متنوّعة، وهذا من خصائص التداولية، فتنوّع الأفعال دلالة على التّغيّر في الحدث والأفعال الماضية في هذا الحديث الشريف تدلّ على الحدث الماضي الدّال على الاستقبال وهذا تماشيا مع سياق الكلام أمّا المضارع فدلالته تشير إلى الاستمرارية في الفعل ومن جانب فعل الأمر فدلالته تعبّر عن طلب الإتيان بالفعل وبالنِّسبة للجمل فنجد في هذا الحديث النبوي الشريف كل من الجمل الخبرية والجمل الانشائية.

فالجمل الخبرية:

- إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء.

أمّا الجمل الانشائية فنجد:

- فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة.

- وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة.

- ليُحِدّ أحدكم شفرته

- ليرح ذبيحته.

ففي عبارة إنّ الله كتب الإحسان على كل شيء، فالفعل الكلامي المباشر لهذه العبارة هو الإخبار أو التّقرير أمّا الفعل الكلامي غير مباشر فيتمثّل في عموم الإحسان، فهذه العبارة تشير إلى أنّ الله وجب وفرض الإحسان على كلِّ شيء، أي على جميع المخلوقات التي خلقها الله والالتزام بهذه القيمة الإسلامية العظيمة وهي الإحسان دليل على امتثال العبد لأوامر الله وأوامر نبيِّه صلّى الله عليه وسلم.

كما وقد جاء في الحديث الشّريف جمل شرطيّة في قوله صلى الله عليه وسلم فإذا قتلتم، وإذا وذبحتم فحضور هذه الجمل أو الجملتين الشرطيتين دلالة على البعد التّداولي للحديث النبوي الشريف، وهذا تماشيا مع

الواقع حيث عمد النبي صلى اله عليه وسلم إلى ضرب الأمثال، وهذا مازاد في تدعيم انجازات الفعل وبالتالي تحقيق تأثير في المتلقي.

كما نجد أنّ هذا الحديث الشريف جاء في عبارات متسلسلة ومرتّبة وذلك بهدف ايضاح فكرة وقيمة الإحسان في الإسلام وليتبيّن أنّ حسن القتل وحسن الذّبح يدخل ضمن الاحسانيّات أي أنّ الإنسان بهذا الصّنيع (حسن القتل وحسن الذّبح) قد بلغ درجة الإحسان وهي درجة عظيمة في الإسلام كما ذكر في الحديث.

وعليه فاتجاه المطابقة في هذا الحديث من العالم إلى الكلمات.

كما أنّ الغرض التّداول من هذا الحديث النّبوي والشريف هو ليتمّ تداول كل ما يتعلّق بالإحسان، إذ أنّ الإحسان هو شيء كتبه الله وهذا رأفة بعباده سبحانه وتعالى، وهو بذلك يحثّ على الإحسان في كلّ شيء فعند القيّام بقتل حيوان مثلا فيجب الالتزام بالإحسان لكن هناك استثناءات حدّدتها الشّريعة كالقصاص وكما تقول القاعدة القانونية لكل قاعدة استثناء، لذلك فإنّ الإحسان شامل في كلّ شيء كما أنّ تداول هذا الحديث يدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يقوم بتعليم أمّته ونضرب بذلك الأمثلة في قوله «إذا قتلتم ،... إذا ذبحتم» كما أشار إلى أشياء مهمّة للتّداول وهي إحسان الذِّبحة ووجوب حدّ الشّفرة لأنّ ذلك يريح الذّبيحة...إلخ.

الحديث الثاني العشر:

عن أبي عمرو، وقيل: أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: « قلت: يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك؛ قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم». رواه مسلم[1]

يدخل هذا الحديث الشريف ضمن الأمريات (الطلبيات) ويحتوي هذا الحديث على فعلين، فعل أمر وفعل مضارع ففعلي الامر هنا هما: قل واستقم.

وأمّا الفعل المضارع فتمثل في الفعل آمنت وأسأل.

وأمّا الفعل الماضي هو قال.

كما أنّ الحديث الشريف بدأ بفعل الأمر، وهذا دلالة على وجود تخاطب بين النبي صلى الله عليه وسلم والصّحابي الجليل أبي عمرو، كما يمكن أن نقول عنه أنّه حوار لطيف هادئ بين الصّحابي الجليل أبي عمرو

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص 21.

والرسول صلى الله عليه وسلم لذلك لو تتبعنا الحديث الشريف على مستوى الجمل لوجدنا أنّ كلّ الجمل إنشائية وهي:

- قلت: يا رسول الله.

- قل لي في الإسلام قولا.

- قال: قل: آمنت بالله ثم استقم.

حيث انّ غرض هذه الجمل يدور بين النّداء والأمر وهما من الأساليب التّداولية المهمّة التي يتمّ الاعتماد عليها.

ففي هذا الحديث يمكن أن نشير إلى فعلين كلاميين مهمّين بين طرفي الحوار (وهما النبي صلى الله عليه وسلم والصحابي الجليل) فالفعل الكلامي الأوّل ويتمثّل في قول الصّحابي أبي عمرو: قل، وهو فعل كلامي وجّه إلى النّبي صلّى الله عليه وسلّم بغرض أن يوجّهه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم إلى أهمّ شيء في الإسلام فالفعل الكلامي يحتوي – طبعا- على قوة انجازية حرفيّة تتمثّل في طلب هذا الصّحابي الجليل من الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول له قولا في الإسلام.

أمّا القوة الانجازية المستلزمة تتمثّل في حبّ وتطلّع هذا الصّحابي الجليل إلى ما سيقوله الرّسول الكريم من قول مهمّ في الإسلام، كما أنّ القوة الانجازية تدعّمت بحرف الجرّ أمّا الفعل الكلامي الخاص بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فتمثّل في قوله قُلْ، وهو فعل كلامي يتكوّن من قوة انجازية تتمثّل في الأمر أمّا القوة الانجازية المستلزمة فتتمثّل في التّوجيه والنّصح التّام والكامل لهذا الصّحابي الجليل .

ولو قمنا بمقارنة ،بين قول الصحابي وقول الرسول الكريم، لوجدنا بونا شاسعا بين القولين من عدّة جوانب لكن سنقتصر على ما سيخطّه قلمنا، فقول الصحابي ابتدأ بجملة اسمية وهي تدلّ على الثّبوت و الجملة الإسمية تدلّ على الثّبوت، وهذا الثّبوت قد يكون محمودا أو مهما في الأمور الشرعية – طبعا – هذا من جهة وقد يدلّ على حال المتكلّم ،والتي توحي بأنّ المتكلّم يسعى إلى الحركية والتجديد، وهذا ما نلحظه عند القول الخاص بالصحابي كما أنّ قوله كان عبارة عن نداء والنداء له دور تداولي مهمّ في عمليّة التّواصل لذلك.

أمّا قول الرسول صلى الله عليه وسلم فهو أمر غرضه التّوجيه والنّصح والإرشاد لهذا الصحابي الجليل بما هو مهمّ في الإسلام ،كما أنّ للأمر دور مهمّ في عمليّة التّواصل اللّغوي لذلك.

حقّى أنّ الرسول الكريم، افتتح كلامه بفعل وهو قوله آمنت بالله ثم استقم ،فهي جملة فعلية وهي معلوم أنّها تدلّ على الحركيّة والإستمرار والتّجديد وكلّ المعاني التي تدلّ على النّشاط وغيرها، كما أنّ هذه الجملة التي قالها الرسول الكريم دلالة على أنّه أفصح العرب وأبلغهم بحقّ وبتوقيع من القرآن الكريم ونفسه صلى الله عليه وسلم حيث يقول صلوات الله وسلامه عليه «أنا افصح العرب بيد أني جولدت كفي قريش وتربيت في بني سعد» وقوله «اختصر لي الكلام اختصارا»

وهذا ما تجسّد — طبعا- «في قوله قل: آمنت بالله ثم استقم» فهي لم تتعدّى حتّى أربع كلمات وفي قوله صلى الله عليه وسلم هذا نجد أسلوب التّرتيب وهو ترتيب قوله ،حيث بدأ بالإيمان ثمّ بعدها الاستقامة، وهذا له معاني ودلالات عميقة في نفسيّة المتلقّي وهو أسلوب لغوي وتربوي في حدِّ ذاته، حيث أنّ فحوى كلام الرسول الكريم أنّ الاستقامة لن تكون إلا إذا حقّق العبد ركنا من أركان الشّريعة وهو الإيمان وما يحمل هذا الركن من معاني ودلالات، عقب ذلك يتمّ تحصيل الاستقامة المنشودة والتي يرتضيها ربُّ العالمين.

وعليه ففي هذا التّرتيب والتّدرج دلالة تداوليّة، حيث أنّه من خلال ذلك إشارة إلى الأهمية الكبيرة للإيمان في حياة المسلم، وعليه فاتجاه المطابقة في هذا الحديث النبوي الشريف من العالم إلى الكلمات.

كما يمكن أن نوضّح هذا الحديث في الشّكل التّالي:

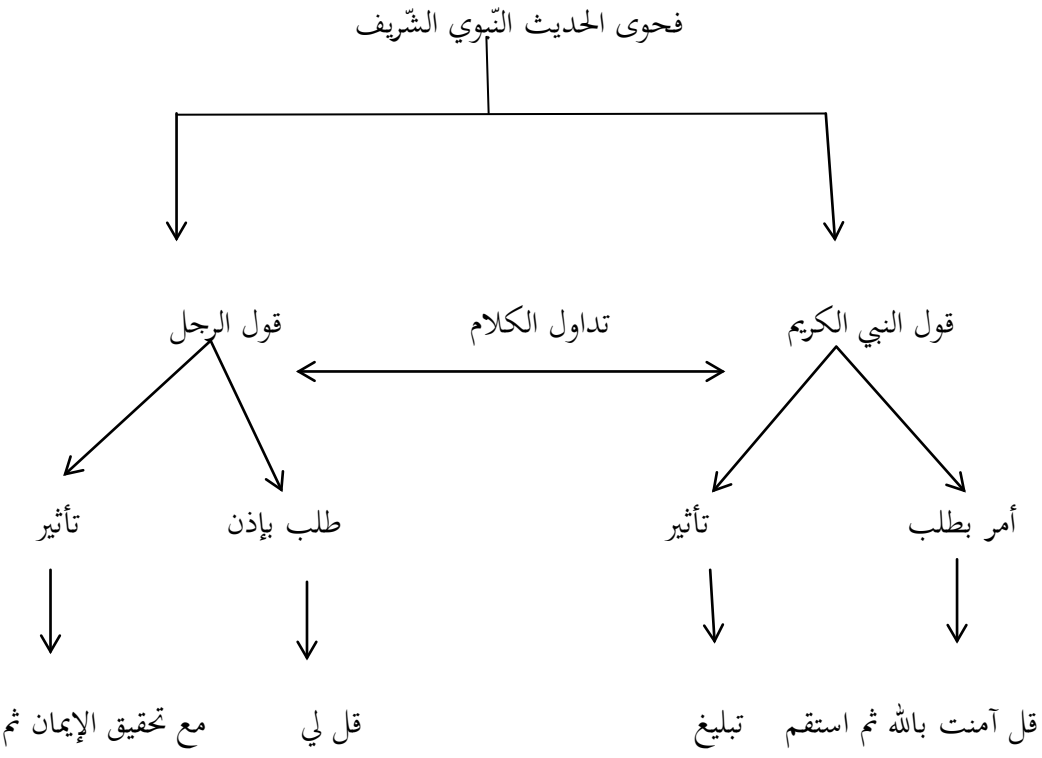

إنّ الغرض التداولي من هذا الحديث النبوي الشريف هو ضرورة المسائلة في أمور العلم، لذلك جاء هذا الحديث ليبيِّن مدى حبِّ الرّجل لمسائلة النبي صلى الله عليه وسلم والذي قد أوتي جوامع الكلم حيث جمع الدين في كلمتين آمنت بالله، ثم استقم، كما أنّ هذا الحديث يدعو إلى تداول العبارات الصّحيحة التي نطقها الرسول صلى اله عليه وسلم وهي الاستقامة على خلاف ما يتمّ تداوله اليوم بالالتزام تقال لشخص تمسّك بالدّين، لذلك يقولون، فلان ملتزم ،و الأصحّ هو إتّباع القرآن والسنّة بالإضافة إلى كلِّ ذلك فإنّ الحديث ينبِّه المستمع إلى ضرورة تفقّد نفسه هل هو؟ مستقيم أو غير ذلك؟...إلخ.

الحديث الثّالث عشر:

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: «أنّ رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أرأيت إذا صليت المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال وحرّمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئا أأدخل الجنّة؟ قال: نعم» رواه مسلم.[1]

يندرج هذا الحديث النبوي الشريف ضمن أفعال الوعديات وهي "صليت"

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص22

ونجد في هذا الحديث مجموعة من الأفعال في الماضي والمضارع، ففي الأفعال الماضية نجد: سأل، قال، رأيت، صليت، حرمت، حرمت.

أمّا الأفعال المضارعة فتتمثّل في أحللت، أزد، أدخل.

أمّا على مستوى الجمل فنجد خبرية وإنشائية فأمّا الجملة الخبرية فتتمثل في:

- إنّ رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم.

- أمّا الجمل الانشائية فتتمثل في:

- أرأيت إذا صليت المكتوبات.

- صمت رمضان.

- أحللت الحلال.

- حرمت الحرام.

- لم أزد على ذلك شيئا.

- أدخل الجنة؟

كما أنّ الحديث النبوي الشريف الذي بين أيدينا اعتمد على أسلوب الحوار، الذي دار بين النبي صلى الله عليه وسلم ورجل إذ لم يتمّ تحديد من هذا الرجل؟، وإنّما تمّ التركيز على القضيّة التي وقعت بينه وبين الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعليه لو تتبعنا مسار هذا الحديث ودرسناه تداولا، فالفعل الكلامي المتجسّد في الجملة التي قالها الرجل نجد الفعل سأل، فهذا الفعل الكلامي والذي موضوعه هو الفاعل المستتر (هو)، وهو أحال على الرجل حيث أنّ قضية هذا الرجل تكمن في مسائلته للنبي صلى الله عليه وسلم وحبِّه وتطلِّعه للاستعلام والتّزود بما هو مفيد من خلال هذا الفعل الكلامي نجد القوة الانجازية الحرفية لهذا الفعل والمتمثلة في الإخبار أي أنّ هذا الرجل أخبر عنه أنّه قام بمسائلة النبي صلى الله عليه وسلم في أمور شرعية أمّا القوة الانجازية المستلزمة مقاما فتتمثّل في فعل طلب الاستعلام والمعرفة، من خلال ما يقوم به من أعمال.

كما أنّه من خلال ما قاله الرجل سنأخذ فعلين آخرين هما أرأيت، وهو فعل كلامي يحتوي على قوة انجازية حرفية تتمثل في الاستفهام أمّا القوة الانجازية المستلزمة مقاميا فتتمثل في حبّ المعرفة والاستعلام.

أمّا من جهة الفعل أأدخل الجنة؟ فهو كذلك كلامي له قوة انجازية حرفية تتمثل في الاستفهام كذلك أمّا القوة الانجازية المستلزمة مقاميّا فهو التّطلع إلى الهدف المنشود وهو دخول الجنة.

ولو تتبعنا الأساليب في هذه الجملة يمكن أن تقتصر على أسلوب الشّرط والمتمثّل في قول الرجل إذا صليت المكتوبات...، حيث أنّ حضور أسلوب قول النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بكلمة نعم، وهي تدلّ على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، قدّم إجابة شافية كافيّة مفرحة لهذا الرجل وهي مقترنة بجمل الشّرط التي ذكرها الرجل، فيعني أنّ قيّام الرّجل بهذه الأعمال كلّها تدخله الجنّة.

وعن الفعل الكلامي الذي يتضمنه قول النبي صلى الله عليه وسلم وهو نعم، فهي تتضمن فعلا كلاميا غير مباشر يتمثل في التّحفيز والتّبشير بما سيحصل لهذا الرجل ويمكن أن نقول أنّه وعد لهذا الرجل من النبي صلى الله عليه وسلم، أي أنّ ناتج القول هو دخول الجنة وهذا بشرط القيام بهذه الأعمال التي ذكرها الرجل.

ويمكن أن نوضّح الحديث في الشكل التالي:

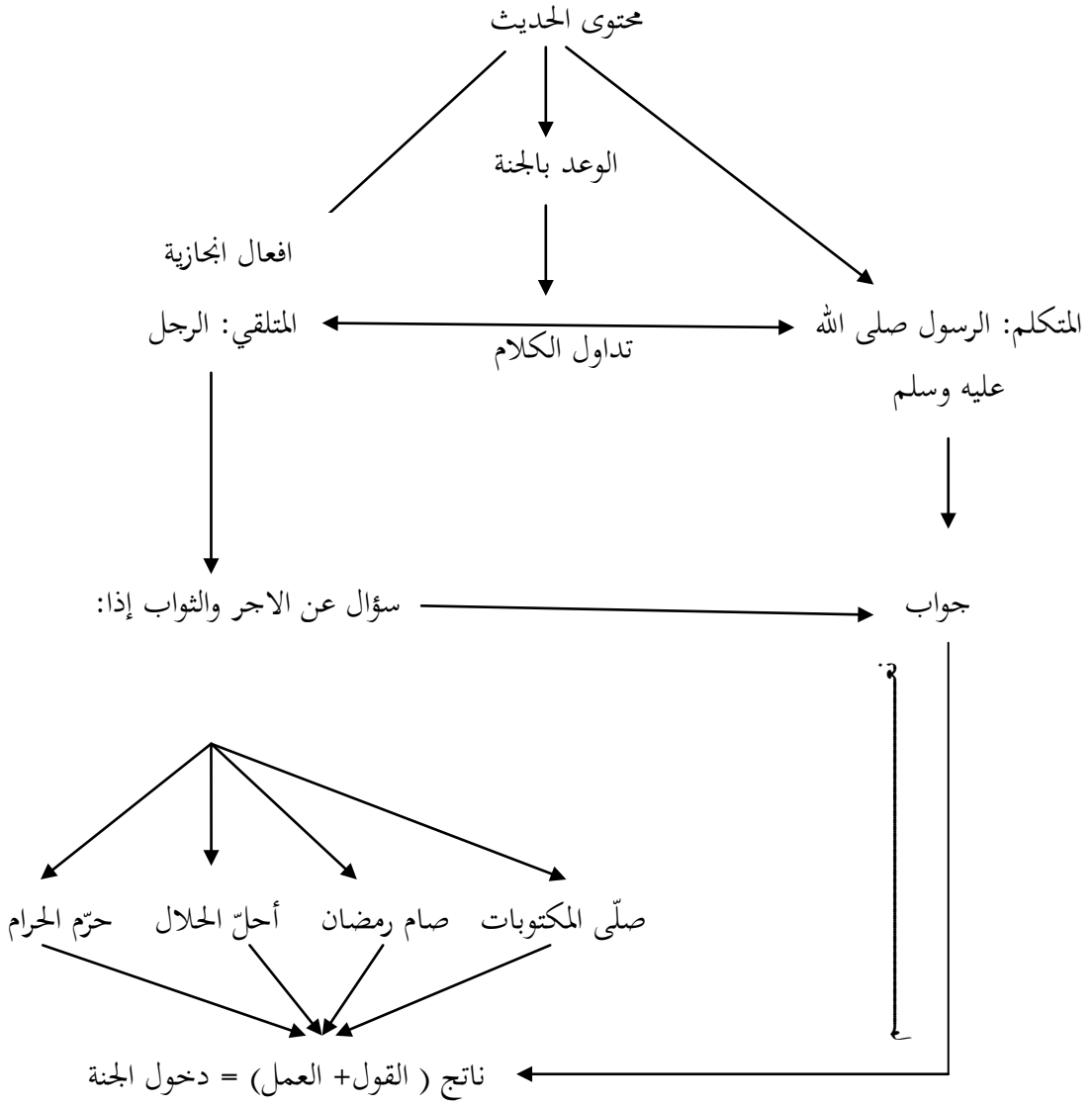

الحديث الرابع عشر:

عن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا ضرر ولا ضرار» حديث حسن، ورواه ابن ماجة، والدار قطني، و غيرهما مسندا، ورواه مالك في الموطأ مرسلا عن عمرو بن يحي، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم.[1]

يندرج هذا الحديث النبوي الشريف ضمن الأمريات (الطلبيات) وهذا الحديث فيه فعل ماضي وهو ضرر.

وفي هذا الحديث جملة انشائية هي:

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية المرجع السابق، ص36.

-لا ضرر ولا ضرار وغرضها النّهي.

فالفعل الكلامي الذي .يمكن أن يستخرج من هذه الجملة هو فعل مباشر يتمثّل في النّهي أمّا الفعل غير المباشر ويتمثّل في رفع وإزالة الضّرر.

حيث أنّ القوة الانجازية لهذا الفعل تدعمت بأداة النهي لا، كما تدعّمت كذلك بصيغة المبالغة في كلمة ضِرار وهي صيغة مبالغة في إحداث ضرر كبير أو مبالغ فيه.

لذلك فإنّ هذا الحديث النبوي الشريف أصل عظيم في أبواب كثيرة وخاصّة في المعاملات.

ومن خلال ذلك يمكن نوضح هذا الحديث في المخطّط الآتي:

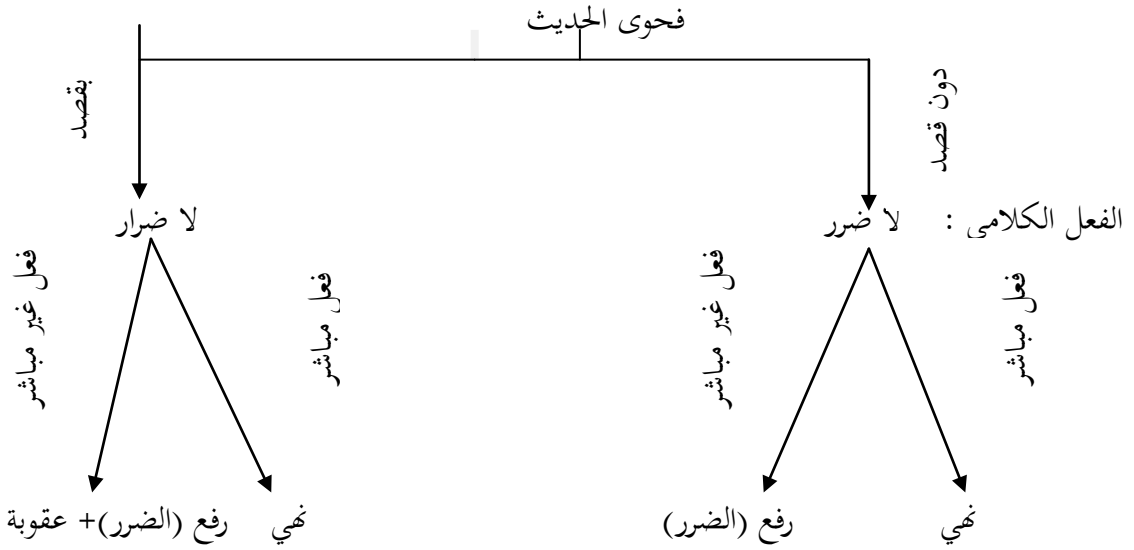

فالغرض التّداولي من هذا الحديث النبوي الشريف هو العمل على رفع الضّرر عند ثبوت الإضرار كذلك يجب رفعه مع تنفيذ عقوبة على ذلك، إذا فكل شيء يؤدي بالإنسان يجب القضاء على ذلك الضرر وسواء حدث الضّرر بقصد أو بدون قصد يجب إزالته لأنّ الإسلام يدعوا إلى السّلامة.

الحديث الخامس عشر:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من رأى منكم منكرا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم[1]

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص 37.

يدخل هذا الحديث النبوي الشريف ضمن صنف الأمريات كذلك ويحتوي هذا الحديث على فعلين ماضي ومضارع فالماضي يتمثل في: رأى

أمّا المضارع فيتمثل في: يغيره

أمّا على مستوى الجمل فنجد الجمل الإنشائية كما يلي:

- من رأى منكم منكرا
- فليغيره
- فإن لم يستطع فبلسانه
- فإن لم يستطع فبيده
- فإن لم يستطع فبقلبه

وذلك أضعف الإيمان.

ويلاحظ على هذا الحديث الشريف أنّه ابتدأ باسم الشّرط وهي دلالة على حضور البعد التداولي، وذلك من خلال وجود الشرط وجوابه، وقد تسلسل الحديث أو الرسول صلى الله عليه وسلم في ترسيخ واتباع طريقة تغيير المنكر، وتدّرج في ترتيه لوسائل التّعبير حسب الاستطاعة، فبدأ باليد ثم اللّسان ثم القلب وذلك أضعف الإيمان، إذا فهو إتّبع الأفضليّة في التّغيير وهذا له هدف تداولي قوي حيث يساهم في تحفيز دافعية المتلقّي أو المستمع إلى التطلّع إلى ما هو أفضل وعدم الرّضا بما دون ذلك. لذلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، إذا رأوا منكرا فهم يسارعون إلى تغيير ذلك بأيديهم وهذا دليل على قوة إيمانهم ويمكن أن نقول بأنّ الإنسان المؤمن دائما يسعى إلى الأفضل، وقيّامه بفعل الأفضل دليل على خيرتيّه، كما يمكن أن نشير إلى أنّ فعل الإنسان المؤمن أي تغييره للمنكر بهذه الطرق هو تأثير لما قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

ويمكن أن نشير إلى ما سبق في المخطط التالي:

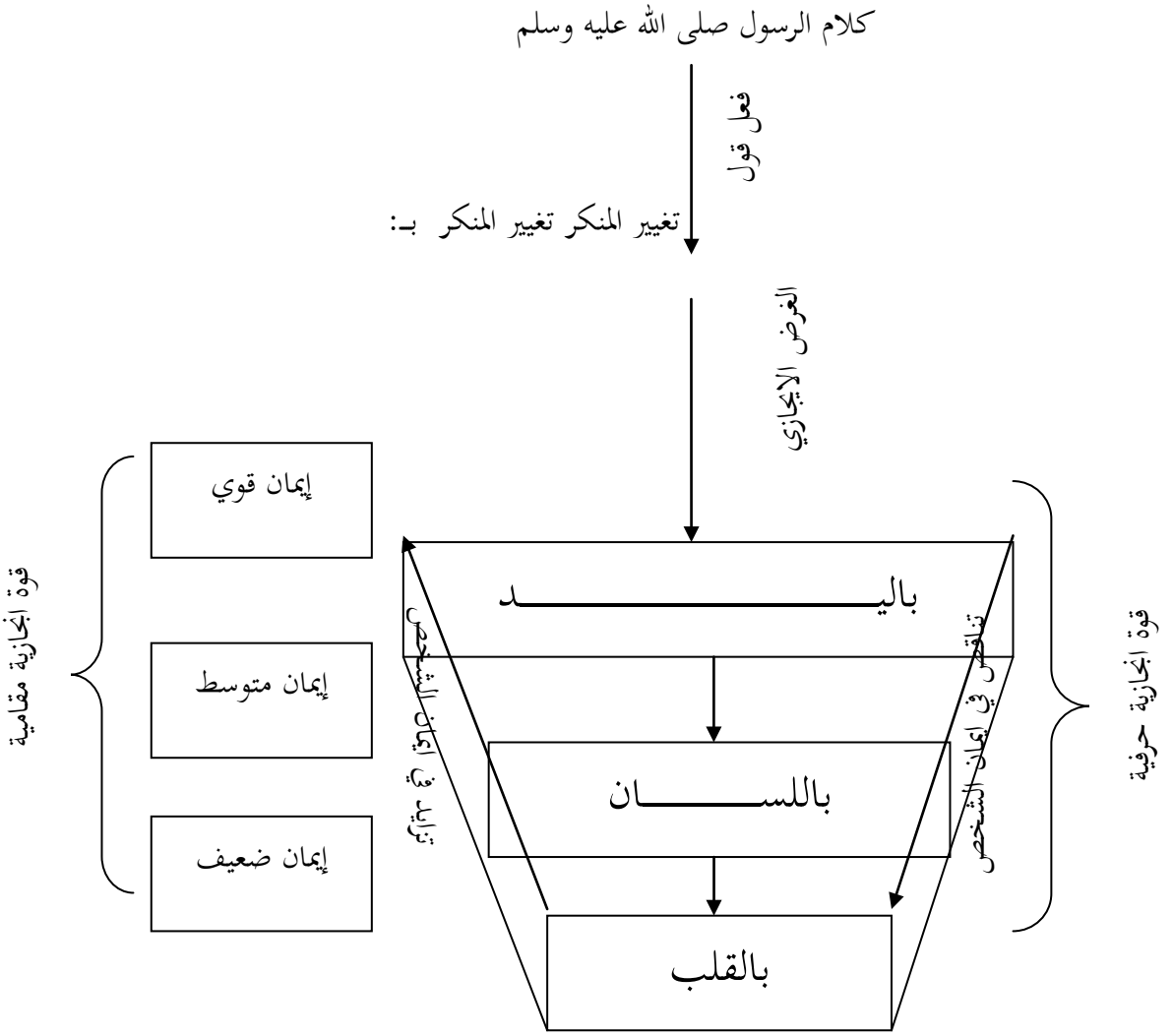

أمّا الغرض التداولي لهذا الحديث النبوي الشريف هو أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أمر الأمّة الإسلامية أن تقوم بمهمّة التّغيير إلى الأفضل أي تغيير المنكر، ومن أيّ شخص كان فتغيير المنكر لا يقتصر على الإمام والمربِّي وغيره وإنّما التّغيير كلّ في مكانه، وإذا كان كذلك فهذا يعني انكار المنكر من الجميع، لكن في تغيير المنكر يجب أن يتمّ مراعاة ظروف معيّنة كمن يفطر في رمضان وهو مريض أو غيرها.

كما أنّ الحديث يشير إلى قيمة تداولية وهي أفضليّة التّغيير، فالتّغيير باليد هو أفضل أنواع التّغيير ثوابا وتحقيقا للمصالح بخلاف النّوعين الآخرين، كما أنّ الحديث يشير إلى شيء تداولي مؤثِّر وجميل وهو أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال في آخر الأنواع التّغيير بالقلب يعني من وراء ذلك أنّ للقلب عملا إذا فالقلب له قول وعمل

لذلك فإنّ تداول هذا الحديث النبوي الشريف في حياتنا سيساهم في تغيير سلوكياتنا إلى الأحسن وبالتالي إحلال الأمن والسلام في أمّتنا.

الحديث السادس عشر :

عن أبي عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ الله تجاوز لي عن أمّتي الخطأ والنِّسيان وما استكرهوا عليه». حديث حسن، رواه ابن ماجة، والبيهقي وغيرهما.[1]

يعتبر هذا الحديث النبوي الشريف ضمن صنف البوحيّات ففي هذا الحديث النبوي الشريف فعلين مضارعين هما تجاوز واستكرهوا.

أمّا على مستوى الجمل فنجد جملة خبرية انشائية وهي نصّ الحديث الشريف.

ومن الملاحظ انّ الحديث ابتدأ بأداة توكيد، وهذا لتأكيد الكلام الذي يقوله، كما أنّه بدأ خطابه بإجمال في الخطاب ثمّ التّفصيل والتّوضيح أكثر وهذا ما يتجسّد في قوله صلى الله عليه وسلم إنّ الله تجاوز لي عن أمّتي ثمّ بدأ يفصّل في كلامه ،الخطأ والنِّسيان وما استكرهوا عليه، أي أنّ هذا التّجاوز محصور في الخطأ والنِّسيان وما استكرهوا عليه.

أمّا عن اتجاه المطابقة في نصّ الحديث النبوي الشريف فيرى سيرل انّ هذا الصنف من التّصنيفات ليس له اتجاه مطابقة لأنّ التعبيرات ما هي إلا تعبير عن حالة نفسيّة تتعلّق بالمتكلِّم، فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف عبّر عن شيء يدخل الفرح والسرور في أمّته وذلك فيما يخصّ التّجاوز لأمّته صلى الله عليه وسلم في جوانب ثلاث: الخطأ ،والنسيان ،وما استكرهوا عليه.

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص39.

ويمكن تمثيل ما سبق حسب الشكل التالي:

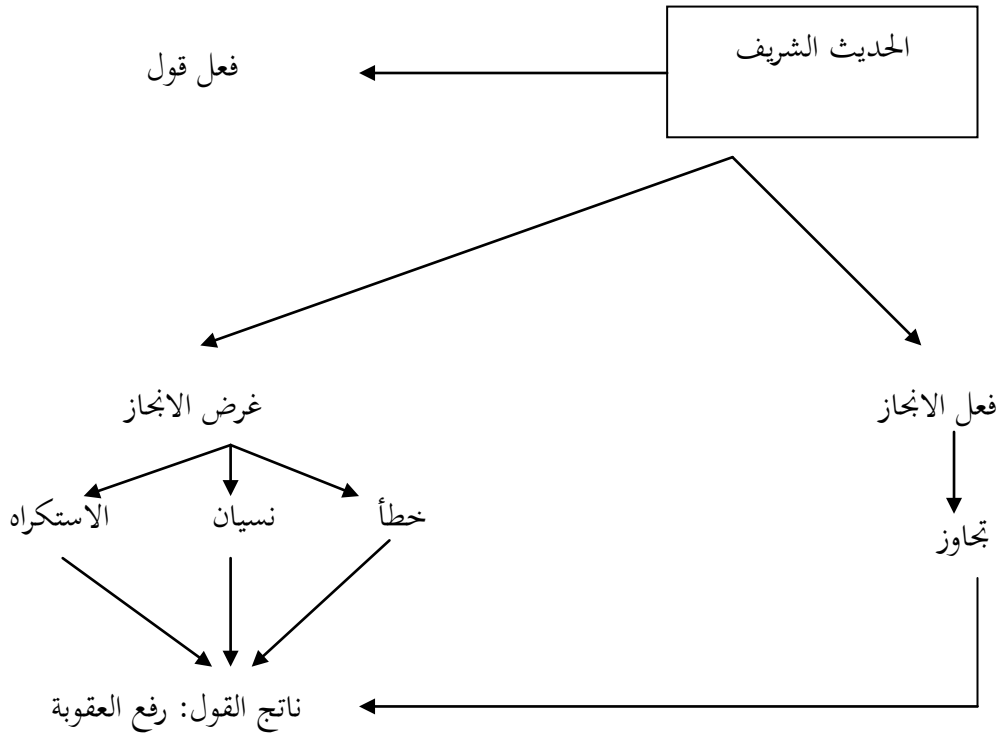

والافعال التي جاءت في الجمل الواردة في الحديث تعبّرُ عن مشاعر وأحاسيس صادقة وقويّة، صدرت من الصّادق المصدوق صلوات ربِّي وسلامه عليه لأمّته، وهذا بهدف بعث روح التّفاؤل والبشرى لأولئك الذين يقعون في أخطاء ونسيان وما استكرهوا عليه، وذلك لأنّ الإنسان خطّاء ويتميّز بصفة النِّسيان وممكن أن يقع في اكراه على ارتكاب مخالفات شرعيّة وكذلك جاءت البشرى من أكرم وأحبّ مخلوق على وجه الأرض محمد صلى الله عليه وسلم.

وعليه فالأفعال السّابقة قد حقّقت الغرض الانجازي والمتمثِّل في حسن التّعبير عن حالات نفسيّة تعتري الإنسان وهي الحالات والمتمثِّلة في الخطأ والنِّسيان وما استكرهوا عليه.

أمّا الغرض التداولي لهذا الحديث النبوي الشريف هو الإشارة إلى أنّ الله سبحانه وتعالى رفع عن أمّة محمد صلى الله عليه وسلم الإثم في حال صدور المعصيّة على هذه الوجوه الثّلاث وهي الخطأ والنِّسيان والاستكراه كما يمكن الإشارة إلى أنّ هذا الحديث جاء مؤيّدا بالقرآن الكريم وذلك في قوله تعالى﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ الإسراء [الآية 15].

الحديث السّابع عشر:

عن أبي محمد عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» حديث حسن صحيح.[1]

يدخل هذا الحديث الشريف ضمن الإخباريات (التقريرات) وعليه فالحديث يحتوي على الأفعال في الماضي والمضارع، فأمّا الماضي فتمثّل في جئت.

وأمّا المضارع فتمثّل في يؤمن، يكون.

أمّا على مستوى الجمل فنجد الخبريّة:

- لا يؤمن أحدكم.

- حتى يكون هواه...

لذلك فإنّ الغرض الانجازي لهذه الأفعال هو تقريب الحقائق إلى السّامع بهدف التّأثير فيه.

حيث تكلم الرسول الكريم في هذا الحديث على أنّ الإيمان كالكامل لا يكون حتى يكون اتجاه ومقصد الإنسان تبعا لما جاءت به الشّريعة الغرّاء وخلاف ذلك لا يكون الإيمان كامل بل أنّ الخروج عن هذا المقصد فإن صاحب ذلك يعتبر مرتدّا.

أمّا عن اتجاه المطابقة في هذا الحديث النبوي الشريف فهو من الكلمات إلى العالم.

وعليه فالغرض التداولي لهذا الحديث والنبوي الشريف فتمثل في تحذير الإنسان من أن يتمّ تداول فكرة تحكيم العقل أو العادة مقدّما إيّاهما على ما جاء به الرسول الكريم وهذا يعتبر وجه نفي الإيمان، كما أنّ الحديث يسعى إلى تداول فكرة جعل الاصل مقدّما على الفرع، ولا نجعل المتبوع تابعا أي فعل الكتاب والسنة. متصدِّران كل أمر من الأمور سواء الدّنيوية أو الأخرويّة، مما يجب أن يعلم بأنّ الهوى قسمين محمود ومذموم وهو ما يقابل الهدى والهوى.

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص45.

ومن خلال ذلك كلّه فإن الغرض التّداولي هو تحكيم الشّريعة في كلّ شيء وهذا طبعا ما قاله المصطفى صلى الله عليه وسلم «لما جئت به».

الحديث الثامن عشر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله تعالى: «يا ابن آدم! إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم! إنّك لو أتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».[1]

رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

يدخل هذا الحديث النبوي الشريف ضمن الوعديات.

وإذا تتبعنا الأفعال الواردة في هذا الحديث الشريف نجد: الماضي، والمضارع.

فأمّا الماضي فتمثل في: قال، دعوتني، رجوتني، غفرت بلغت، أتيتني، لقيتني.

أمّا الفعل المضارع فتمثّل في استغفرتني.

أمّا على مستوى الجمل فنجد حضور الجمل الطلبية وهي:

- ابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني....

- ابن آدم لو بلغت ذنوبك....

- ابن آدم إنّك لو أتيتني بقراب الأرض....

ابن آدم إنّك إن لقيتني لا تشرك بي شيئا....

ومن خلال هذه الجمل الطلبية نلاحظ حضور النّداء له دور كبير في عملية التّخاطب كما دعّم دوره التّكرار حيث تكرّر أسلوب النّداء في هذا الحديث، وهذا دلالة عظمة وجلالة المتكلم وهو الله سبحانه وتعالى

[1] النّووي :شرح الأربعين النّووية ،المرجع السابق، ص42.

وعمليّة التّكرار هذه تدلّ على أهميّة الكلام كما أنّ هذا الاسلوب يعمل إثارة انتباه المستمع ليبلّغه رسالة مهمّة تفيده في دنياه وآخرته .

وعليه فإنّ الأفعال الكلامية المتضمّنة للوعد لهذا الحديث الشريف فهي تكرار للفعل غفر حيث جاء بصيغ مختلفة غفرت، تستغفرني... وغرضه الانجازي هو وعد الله عز وجل لأبن آدم بأنّ يغفر كل الذّنوب ما دام العبد متّصلا بربّه بطاعته واجتناب نواهيه، وبالتّالي ينجز الله سبحانه وتعالى لهذا العبد الطائع الوعد وهو غفران الذّنوب كلّها ولو كانت ذنوب العبد بالغة عنان السّماء، فالله يغفرها ولا يبالي، ولو تتبعنا أفعال الحديث فعل فعل زاد ذلك وضوحا، فقوله ما دعوتني فهو طبعا فعل كلامي مباشر، وهذا الفعل إحالي إلى الذّات الإلهيّة، أي أنّ العبد يدعوا ربّه ويخصّصه بالدّعاء وعليه فناتج القول يمكن أن نقول بأنّه غفران الذّنوب إذا حصل من العبد، فالغرض من هذا الفعل هو طاعة الله عز وجل وغفران الذّنوب للعبد، كما أنّ الأداة ما والتي تعتبر شرطيّة قد ساهمت في تدعيم القوة الانجازية للفعل دعوتني وجواب الشّرط هو غفرت. ولو قمنا بالتّفصيل أكثر في هذا الفعل وذلك أن هذا الفعل دعوتني يعني الدّعاء والدّعاء قسمين كما هو معلوم شرعا دعاء مسألة ودعاء عبادة، فدعاء المسألة أن تقول: يا ربِّ اغفر لي أي هو فعل قولي وغرضه الانجازي الدّعاء أمّا دعاء العبادة فهو أن تصلّي لله أي يحصل ناتج قول وهو تأديّة الصّلاة لله. وبالتّالي تجسّدت الأفعال الكلامية في هذا الفعل فقط. كما أنّ هذا الفعل تدعّم بقوّة انجازية في الفعل رجوتني وهو يعتبر كقيد لنجاح تحقيق الفعل الانجازي إن صحّ التّعبير، أي أن تكون داعيّا لله، راجيّا إجابته، وأمّا أن تدعوا الله بقلب غافل لأنّ القوس بضاربه كما يقال.

ويمكن تمثيل ذلك في الشّكل التّالي:

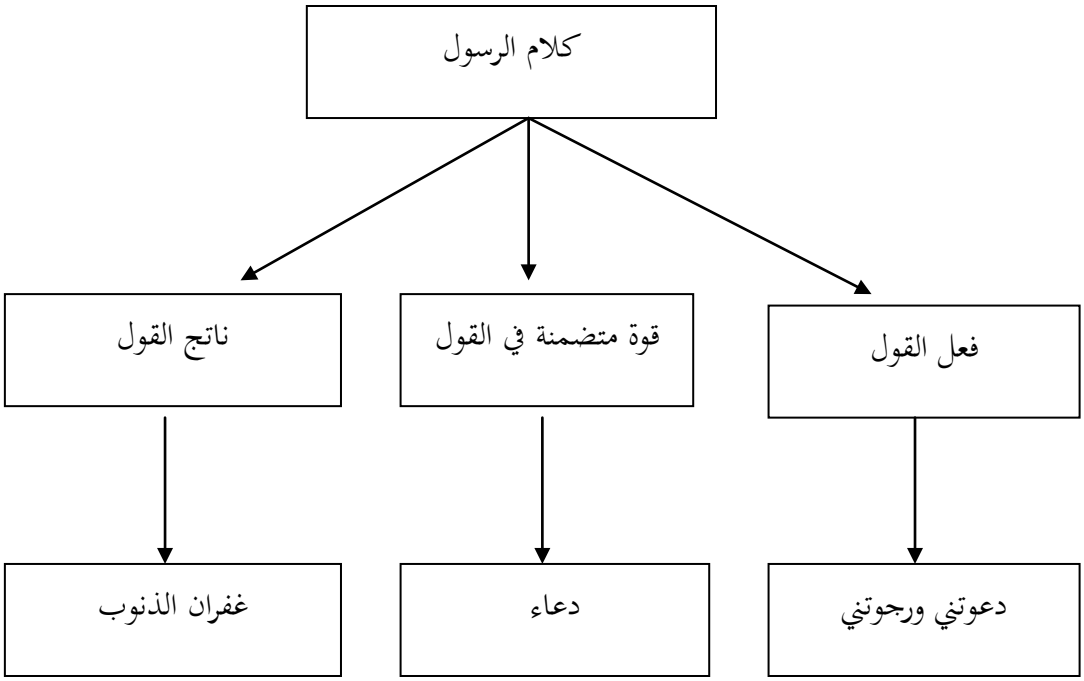

وعليه فإنّ الغرض التّداولي من هذا الحديث النبوي الشريف هو الحثّ على المبادرة إلى التّوبة وعدم التّعجّل في ذلك لأنّ الموت يباغت كلّ إنسان، وانطلاقا من قوله سبحانه وتعالى: يا ابن آدم فهو نداء من ربٍّ رحيم يليق بجلاله سبحانه ليغدق على عبده التّائب والرّاجع من الذّنوب وحتّى إن بلغت عنان السّماء كما في الحديث فإنّ الله يقبل التّوبة من ذلك العبد طبعا مع الصّدق في التّوبة وإصلاح ما فات من الأعمال الطّالحة وتحويلها إلى أعمال صالحة لأنّ الله يبدّل السيّئة حسنة، ويجازي كلّ إنسان حسب نيّته واستطاعته، لذلك فإنّ تداول هذا الحديث هو تداول للخير وتداول للأعمال الصالحة التي ترضي الله سبحانه وتعالى وبالتّالي فإنّ ناتج التّداول هو دخول الجنّة.

خاتمـــة

خاتمة:

تركِّز التّداولية على اللّغة المستعملة بين أفراد العمليّة التّواصليّة حيث تولي عناية فائقة بالعناصر المحيطة بعملية التّخاطب، كما أنّها تسعى جاهدة إلى تحليل الكلام الذي يصدر من المتكلِّمين نتيجة تفاعلهم، حيث يتمّ الاعتماد على آلية من الآليات التّداوليّة ألا وهي نظرية الأفعال الكلاميّة، والتي تعدّ النّواة المركزيّة لكثير من البحوث التّداولية، إذ أنّ هذه النّظرية تهتمّ بما يفعله المتكلِّمون باللّغة من إنجاز وتأثير وتبليغ ومراعاة سياق الحال والغرض الذي يريده المتكلِّم من كلامه.

وعليه ومن خلال ما سبق يمكن أن نشير إلى أهمِّ النّتائج التي تمخّض عنها هذا البحث في النِّقاط التّالية:

1- يمكن أن نعتبر التّداوليّة نقطة التقاء واشتراك بين العديد من التّخصّصات العلميّة مثل اللّغة وعلم النّفس وعلم الاجتماع...الخ.

2- ترتكز التّداولية على اللّغة المستعملة بين أفراد العلميّة التّواصليّة، مع التّركيز على المعنى الذي يحدِّده السِّياق.

3- تعتبر التّداوليّة الوليد الشّرعي للفلسفة التّحليليّة.

4- تعدُّ نظريّة الأفعال الكلاميّة النّواة المركزيّة للتّداوليّة وهي من أهمِّ النّظريّات التي أخذت حيِّزا كبيرا من اهتمامات علماء اللِّسانيّات التّداوليّة.

5- أنّ نظريّة الأفعال الكلاميّة تتكوّن من قسمين فعل كلامي مباشر وهو الفعل الذي يكون معتادا ظاهرا أو صريحا، أمّا القسم الآخر فهو الفعل غير المباشر وهو الفعل الذي يكون معناه غير ظاهر أي ضمني.

6- كانت جهود كلّ من أوستين وسيرل حول نظريّة الأفعال الكلاميّة مبنيّة على خلفيّات مسبقة فأوسيتن من خلال تصنيفاته أنّه كان متأثّرا بالأحكام القانونيّة أي أمور متعلّقة بالقوانين، أمّا سيرل فيمكن أن نقول أنّه مستند إلى أفكار اجتماعية ويتجسّد ذلك أكثر من خلال كتابه العقل واللّغة والمجتمع، كما أنّه متأثّر بما يسمّى بنظريّة العقد الاجتماعي وهذا ظاهر من خلال حديثه عن العرف اللغوي.

7- أمّا علماء العرب فقد كانت اجتهاداتهم اللّغوية مبنيّة على أساس ديني وهو القرآن والسنّة النّبويّة الشّريفة.

8- من خلال الاطلاع على التّراث العربي القديم يتّضح أنّ العرب هم السبّاقون إلى الاعتماد على المنهج التّداولي من خلال تحليلاتهم على الكثير من النّصوص الدينيّة والأدبيّة والشّعرية.

9- الفعل الكلامي يقوم على عنصرين هما فعل القول والفعل الانجازي، حيث أن فعل القول ما هو إلا عبارة عن الصيغة التعبيرية للجملة أو العبارة أمّا الفعل الانجازي فهو الفعل المتضمِّن في القول.

10- أنّ الهدف من وراء الفعل الانجازي هو أن يلتزم المتكلِّم بما يقول اتجاه السّامع على أن يقوم بفعل ما قاله مع السّامع.

11- الفعل التّأثيري هو الفعل الذي يسعى المتكلِّم إلى تحقيقه من خلال عمليّة تلفّظه بكلام مع السّامع.

12- يهتمّ أوستين في تحليله للّغة بالجمل الإنشائية أكثر من الجمل الخبريّة، وأشار إلى أنّه يمكن تحويل هذه الجمل الخبرية إلى انشائية من خلال إيجاد فعل مقدّر للجمل الخبريّة.

13- أنّ الفعل الكلامي يكون ناجحا، إذا توفّرت ظروف عديدة كالسياقات وظروف الزّمان والمكان ...الخ.

14- يمكن أن نشير إلى أنّ نظريّة الأفعال الكلاميّة تساهم في خلق جوّ تواصلي مثمر وخاصة إذا تم الاعتماد على الفعل الكلامي غير مباشر.

15- تجسّدت نظريّة الأفعال الكلاميّة وأقسامها أكثر في الأحاديث النبوية المختارة في المذكرة، على اعتبار أنّ الأحاديث النّبويّة تمتاز بالصِّدق والصّراحة، وذلك لأنّها من قول الصّادق المصدوق، وهذا ما ساهم في إثراء هذه المعارف والأفكار التي تحوم حولها نظريّة الأفعال الكلاميّة، إذ أنّ نجاح الفعل الكلامي يكون مرهونا بمدى مصداقيّة المتكلِّم في كلامه.

16- تعتبر الأفعال المتضمِّنة في القول شيء مهمّ لنظريّة الأفعال الكلاميّة.

17- أنّ أهمّ نقطة اختلاف بين سيرل وأوستين هو في الفعل المتضمِّن في القول (فعل كلام غير مباشر) حيث يشير سيرل إلى أنّ المعنى في الفعل المتضمِّن في القول ينتقل من الدّلالة المباشرة إلى دلالة مستلزمة مقاميّا.

وفي الأخير أقول ومن الله الرضا والقبول أنّني لا أدّعي بأنّني أحطت بما لم تحط به البحوث الأخرى، وإنّما لكلِّ مجتهد نصيب وقدر يسير من المعرفة والعلم.

وختام القول أنِ الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر

و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم

1- أبو بشر سيبويه: الكتاب، تح(عبد السلام هارون)، دار الكتاب العلمية، بيروت، ج1، ط3، (د.ت).

2- أبو بكر جابر الجزائري: منهاج المسلم، مكتبة العلوم والفكر، المدينة المنورة، (د.ت).

3- أجعطيط نور الدِّين: تداوليّة الخطاب السيّاسي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

4- أحمد المتوكِّل: الخطاب وخصائص اللّغة العربيّة دراسة في الوظيفة والبنية والنّمط، دار الإيمان، ط1 المغرب، 200.

5- أحمد مومن: اللِّسانيات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات، ط4، 2008.

6- إدريس مقبول: الأسس الإبستيمولوجيّة والتّداوليّة للنّظر النّحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2003.

7- آريول وجاك موشلار: التّداولية اليوم علم جديد في التّواصل، تر(دعفوس سيف الدِّين والشيباني محمّد) دار الطباعة للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

8- آيت أوشان علي: اللِّسانيات والبيداغوجيا نموذج النّحو الوظيفي، الأسس المعرفيّة والديداكتيتكيّة، دار الثّقافة لنّشر والتّوزيع، ط1، 1998.

9- بدّوح حسن: المحاورة مقاربة تداوليّة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.

10- بوقرّة نعمان: المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النّص وتحليل الخطاب، ط1، الأردن، 2009.

11- التوّاتي بن التوّاتي: مفاهيم في علم اللّسان، دار الوعي للنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2008.

12- جاك موشلير، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتّداوليّة، تر (مجموعة من الأساتذة) ، دار سنيترا، ط2 تونس، 2010.

13- الجوهري إسماعيل بن حمّاد، تح(خليل مأمون) : معجم الصِّحاح قاموس عربي عربي، دار المعرفة، لبنان ط3، 2008.

14- حمدي حسن: مهارات الانضباط السّلوكي، دار اللّطائف، ط1، 2004.

15- خليفة بوجادي: في اللّسانيات التّداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدّرس العربي القديم، بيت الحكمة جامعة سطيف، الجزائر، 2012.

16- صابر الحبّاشة: أسئلة وتداوليّات الخطاب، مقاربة عرفانيّة تداوليّة، دار زهران للنّشر، الأردن، ط1 2011.

17- صحراوي مسعود: التّداولية عند علماء العرب (دراسة تداوليّة لظاهرة الاستعمال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي) ، دار الطليعة، لبنان، ط1، 2005.

18- الفراهيدي الخليل بن أحمد، تح(داود سلّوم وآخرون) : كتاب معجم العين، مكتبة لبنان، ط1 1998.

19- فريد أحمد: التّربية في منهج أهل السنّة، دار الجوزي، القاهرة، 2011.

20- فليب بلاستيه: التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، تر (صابر الحبّاشة) ، دار الجوار، سورية، ط1، 2007.

21- رفاس سميرة: مباحث أساسيّة في فقه اللّغة العربيّة، دار أمّ الكتائب، ط1، الجزائر، 2013.

22- الزّمخشري محمود بن عمر، تح (مزيد نعيم، شوقي المعري): أساس البلاغة، ط1، مكتبة لبنان 1998.

23- سيرل جون: العقل واللّغة والمجتمع، تر (سعيد الغامدي) ، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2006.

24- عبد المجيد محي الدّين: التّحفة السنيّة بشرح المقدِّمة الأجروميّة، دار الإمام، طبعة جديدة، 2003.

25- عبد السّلام عشير: عندما نتواصل نغيِّر (مقارنة تداوليّة معرفيّة لآليّات التّواصل والحجاج) ، مطبعة إفريقيا الشّرق، دار البيضاء، ط1، 2012.

26- العثيمين محمد بن صالح: شرح الأربعين النّوويّة، ط1، دار ؟؟؟؟، نصر، 2014.

27- سلوى حافظ إبراهيم: التّداوليّة علم استعمال اللّغة، عالم الكتب، لأردن، 2011.

28- عمران قدّور: البعد التّداولي في الخطاب القرآني، عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2012.

29- النّووي أبو زكريا يحي: شرح متن الأربعين النووية، دار المجد للنشر والتوزيع، سطيف الجزائر.

30- نوّاري أبو زيد: في تداوليّة الخطاب الأدبي المبادئ والأجزاء، بيت الحكمة، ط1، الجزائر، 2009.

الرسائل الجامعية:

1- غضّابي وهيبة: تداوليّة الأفعال الكلاميّة، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، علوم اللّسان العربي جامعة بسكرة، 2014.

2- مدور محمّد: الأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم (سورة البقرة)، دراسة تداوليّة، أطروحة لنيل شهادة الدّكتوراه في علوم اللّسان العربي، جامعة باتنة، الجزائر، 2014/2013.

المجلات:

1- مجلّة الأثر: أشغال الملتقى الدّولي الرّابع في تحليل الخطاب، العدد الخامس،جامعة ورقلة

فهرس الموضوعات

العنوان الصفحة

بسملة

شكر وتقدير

المقدمة..... أ-هـ

مدخل 6-14

الفصل الأول : في الأفعال الكلامية..... 15-45

المبحث الأول : الأفعال الكلامية الماهية..... 15-26

1-المفهوم: 16

أ-لغة..... 16

ب-اصطلاحا..... 19

2-النشأة 21

3-أقسام الأفعال الكلامية..... 23

المبحث الثاني : تطوّر نظريّة الأفعال الكلاميّة..... 27-45

1-عند الغرب..... 28

أ- أوستين 28

ب- سيرل..... 31

2-عند العرب..... 35

أ-المتوكل أحمد 36

ب-الحبّاشة صابر..... 40

ج-صحراوي مسعود..... 43

الفصل الثاني : الأفعال الكلامية في الحديث النبوي الشريف..... 88-46

المبحث الأول : الاربعين النووية..... 48-47

1- التعريف بالنووي 47

2- التعريف بالمتن..... 48

المبحث الثاني : تجلّيات تصنيفات سيرل في الأحاديث النّبوية 88-49

الخاتمة..... 91-89

قائمة المصادر والمراجع..... 95-92

فهرس الموضوعات 94-93

الملخص

الملخص:

تعتبر التّداوليّة من العلوم اللّغوية، التي انتشرت انتشار النّار في الهشيم، في الأبحاث اللّغوية لدى العديد من العلماء المختصّين في ميدان اللّسانيّات، لكن الفضل يعود إلى أعمال وأبحاث قام بها كلّ من أوستين وسيرل وغرايس، حيث أنّ هؤلاء أعادوا الاعتبار لهذا العلم، وذلك بعد رفضهم القاطع للأفكار الفلسفيّة المنطقيّة، وخاصّة ما قدّمه أوستين من ردود مفحمة لفلاسفة المنطق، ومن خلال ذلك تشكّلت الفلسفة التّحليلية بكلّ مكوّناتها ومفاهيمها وروّادها، ومن خلال هذه الفلسفة بدأت تظهر مفاهيم على السّاحة اللّغوية، ومن بين هذه المفاهيم التي أخذت حصّة الأسد مفهوم نظريّة الأفعال الكلاميّة.

ونظريّة الأفعال الكلاميّة تعتبر المفهوم المدلَّل لهذه الفلسفة، حيث أنّ الاهتمام بهذه النّظريّة زاد أكثر وخاصّة في مرحلتيها الأساسيّتين، وهما مرحلة التّأسيس (أوستين) ومرحلة النّضج (سيرل)، حيث أنّ هذه النّظريّة كانت ترتكز على تحليل اللّغة المستعملة بين أفراد العمليّة التّخاطبيّة، إذ أنّه لا يمكن فهم الكلام المستعمل إلّا من خلال الإحاطة بها، فهي تقوم على أفعال تسمّي الأفعال القوليّة والأفعال الإنجازيّة والأفعال التّأثيريّة ، ولكلّ فعل مدلوله الخاصّ به، كما أنّها تهتمّ بمفهوم القصديّة والظّروف المحيطة بالمتكلّم.

هذا و أنّه لا يخفى على أيّ أحد، أنّ هذه النّظريّة كانت موجودة في التّراث العربي القديم ،لكن ليس على ما هو عليه من التّسمية المعروفة بالأفعال الكلاميّة، فعلماء اللّغة العربيّة كانت لهم جهود كبيرة من خلال تحليلاتهم للنّصوص الدينيّة والأدبيّة والشعريّة وغيرها، إذ أنّ تحليلاتهم كانت ذات أبعاد تداوليّة.

ومن خلال كلّ ما سبق يمكن أن نّقول بأنّ نظريّة الأفعال الكلاميّة تهتمّ بالمعنى والسيّاقات التي تكون مرتبطة به، وتزيد في وضوحه أكثر، كما تهتمّ بعناصر العمليّة التّخاطبيّة أثناء الكلام.

وانطلاقا من هذه النّظرة الفاحصة يأتي البحث استجابة فعليّة لمنجزات نظريّة الأفعال الكلاميّة وما ترتكز عليه النّظرية في تحليلها لعمليّة التّواصل اللّغوي بين أفراد المجتمع، حيث أنّها أعطت المعنى المنشود من خلال كلّ عمليّة تواصليّة.

وعليه ففي هذه المذكّرة الموسومة بعنوان: الأفعال الكلاميّة في الأربعين النّوويّة سلّطت الضّوء على نظريّة الأفعال الكلاميّة وأهمّ روّادها، وكيفيّة تطبيق هذه النّظريّة على متن من متون التّراث العربي وهو متن الأربعين النّوويّة.

وانطلاقا من ذلك فقد احتوت هذه المذكّرة على فصلين، فالفصل الأوّل تناولنا فيه ماهية الأفعال الكلاميّة حيث تطرّقنا في ذلك إلى تعريف الأفعال الكلامية لغة واصطلاحا من خلال المعاجم العربيّة و توصلنا إلى أنّ الكلمتين مرتبطتين ومتفقتين من جهة الذّات الفاعلة والمتكلّمة، وقلنا أنّ الذّات المتكلّمة من خلال كلامها تؤدّي فعل التكلّم ومنه أوجزنا الكلام بعبارة مفادها: فِعْلُ فِعْلِ الكلّام.

كما توصّلنا من خلال التّعريف الاصطلاحي إلى أنّ الأفعال الكلاميّة تقوم على ثلاث مستويات وهي المستوى اللّغوي والمستوى النّفسي والمستوى الاجتماعي النّفسي وكلّ هذا مفصّل في المذكّرة.

ومن ذلك كلّه قمنا باستنتاج معادلة لغويّة وهي كالتّالي:

فعل القول + فعل الإنجاز = فعل التّأثّر

وهذا حسب ما تريده هذه النظرية أو ما يريده روّادها إن صحّ التّعبير بذلك.

بعدها تناولنا نشأة الأفعال الكلاميّة والمراحل التي مرّت بها وبالأخصّ مع روّادها المؤسِّسين لها، ثمّ تطرّقنا إلى أقسام الأفعال الكلاميّة، وهي الأقسام التي كانت محلّ اهتمام من قبل روّادها، ويتمثّل في فعل القول وفعل الإنجاز وفعل التّأثّر، وهذه المطالب كلّها في المبحث الأوّل من الفصل الأوّل.

وبالنِّسبة للمبحث الثّاني من الفصل الأوّل فقد تتبّعنا فيه تطوّر هذه النّظريّة وتطرّقنا إلى جهود روّادها وما أضافوه لهذه النّظريّة.

أمّا بالنِّسبة للفصل الثّاني فقد تناولنا فيه مبحثين و الأول تطرقنا فيه لـ التعريف بالنّووي والتعريف بالمتن (الأربعين النووية) وفي المبحث الثّاني ركّزنا فيه على تصنيفات سيرل لأنّها تصنيفات متماشية تقريبا مع الواقع.

وفي هذا المطلب الأخير والذي يعدّ المحكّ الرئيسي لنظريّة الأفعال الكلاميّة قمنا بتطبيق كلّ تجليّات نظريّة الأفعال الكلاميّة على متن الأربعين النووية، ولقد قمنا باختيار بعض الأحاديث الشّريفة من متن الأربعين النّوويّة، وعددها هو ثمانية عشر حديثا، كما أنّنا ركّزنا على اختيار الأحاديث القصار ذات معاني ودلالات عظيمة —طبعا– كلّ الأحاديث النّبوية الشّريفة ذات دلالات عظيمة لكن هذا حسب اختيارنا لهذه الأحاديث، حيث قمنا بتحليل هذه الأحاديث النّبويّة على أساس ما جاءت به النّظريّة (نظرية الأفعال الكلامية)، كما عززت التّحليلات بأشكال متنوّعة ومختلفة متماشيا مع ما يتضمّنه الحديث الذي اضطر فيه لوضع شكل معين له.